النماص وأبـهـا

(١٣٧٩ – ١٤٠٠ هـ / ١٩٥٩ – ١٩٨٠ م)

(انطباعات ومشاهدات) (*)

أ. د. غيثان بن علي بن جريس

دراسة منشورة في كتاب : القول المكتوب في تاريخ الجنوب، لغيثان بن جريس (الطبعة الأولى) (الرياض: مطابع الحميضي، ١٤٣٥ هـ/٢٠١٤م). (الجزء السابع)، ص ص ٣٢٨ – ٣٦٤ . (الطبعة الثانية/ ١٤٤٢ هـ / ٢٠٢٠ م)، ص ص ٣١٣ – ٣٤٨ .

رابعاً : النماص وأبها (١٣٧٩-١٤٠٠هـ/١٩٥٩-١٩٨٠م) (انطباعات ومشاهدات) بقلم: أ .د. غيثان بن علي بن جريس .

م	الموضوع	رقم الصفحات
١	مدخل.....	٣٢٨
٢	غيثان بين النماص وأبها.....	٣٢٩
٣	الجغرافيا في النماص وأبها.....	٣٣١
٤	حياة المجتمع في النماص وأبها.....	٣٣٢
٥	اقتصاديات أهل النماص وأبها.....	٣٤٦
٦	التعليم والثقافة في النماص وأبها.....	٣٥٨
٧	رأي ووجهة نظر.....	٣٦٣

١ - مدخل :

الذكريات والمشاهدات أحد المصادر التاريخية ، ومن يلج في هذا الباب مدوناً أو باحثاً أو قارئاً فيجب عليه الحيطة والحذر بدءاً من تذكر الحدث والرواية ثم تدوينها حتى نشرها وقراءتها . وهذا ماسلكناه في هذا المحور فقد عشنا وشاهدنا وتذكرنا أخباراً عديدة عن بلاد النماص وأبها لفترة تزيد على العشرين عاماً (١٣٧٩ــ١٤٠٠هـــ / ١٩٥٩ــ١٩٨٠م) ، ومن ثم دونا ونشرنا ما نحن متأكدون من صحته ، خاصة أنه مر على تلك الروايات أكثر من ثلث قرن ، ونحن على يقين بصحة كل ما ورد في هذه الجزئية، لكننا لا ندعي أننا أوردنا صورة متكاملة لحياة الناس في هاتين البلدتين العسيريتين (النماص وأبها) ، ولكن رصد شذرات متفرقة عن التاريخ الحضاري لتلك النواحي قد يفتح الباب مستقبلاً لدراسات وبحوث تاريخية وحضارية مختلفة [١] .

---

(١) وهذا القول ليس مقتصراً على حاضرة أبها ومحافظة النماص ، وإنما يمكن تطبيقه على أي ناحية من بلدان الجنوب السعودي .وكوننا تجولنا في هذه البلاد طولاً وعرضاً ، فنقول إن كل ناحية أو بلدة من هذه البلاد تحتاج إلى بحث ودراسة، والمادة التاريخية للسبعين والثمانين سنة المتأخرة الماضية سهلة أن تدون ، وذلك لوفرة المصادر المكتوبة والمروية عن تلك الحقبة .

٢ ـ غيثان بين النماص وأبها :

ولد غيثان بن علي بن جريس عام (١٣٧٩هـ/١٩٥٩م) في قرية عمرية (عمروية) كريمية تميمية[١] ، هي قرية آل مقبول[٢] ، وتولى رعايته وتربيته جدته لأمه سعدى بنت محسن العمري ووالدته رحمة بنت محمد بن جراد العمري[٣]، وعاش في كنفهما (رحمهما الله تعالى) حتى بلغ سن خمس سنوات [٤] ، ثم انتقل إلى دار والده علي بن عبد الله بن جريس الثوابي الجبيري

---

(١) قبيلة بني عمرو الحجرية تنقسم إلى عدد من القبائل والعشائر في تهامة والسراة ، ولكن جميع هذه العشائر تندرج غالباً تحت مظلة قبيلتين رئيستين هما: تميم وكعب . وعشيرة بني كريم تبعد معظم قراها عن وسط بلدة النماص نحو الشمال حوالي (٧ـ١٠كم) ، وتولى مشيختها خلال القرون الماضية المتأخرة عدد من الأسر مثل : أسرتي آل مطارد وابن سكوت، ومازالت مشيختها حتى الآن في أسرة ابن سكوت ، وهناك قرية تطلق على اسمه تعرف (بقرية آل سكوت). للمزيد انظر ابن جريس .كتاب بلاد بني شهر وبني عمرو (ق١٣ـ ١٤هـ/١٩ـ٢٠م) الطبعة الثالثة ، ص ٦٣ .

(٢) قرية آل مقبول : هي القرية التي يسكنها أخوال وأجداد غيثان بن جريس لأمه ، والتي ولد فيها عام (١٣٧٩هـ /١٩٥٩م) ، وعاش فيها سنوات عمره الخمس الأولى ، وتبعد عن بلدة النماص نحو الشمال حوالي (٨كم) ، ومازالت مسكونة ببعض الأسر حتى وقتنا الحالي ، أما المنزل الذي ولد فيه غيثان فقد هدم عام (١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م) من قبل خاله عبد الله بن محمد بن جراد العمري ، وأصبح موضعه الآن مقبرة يدفن فيها أموات أهل القرية. المصدر : معاصرة الباحث لهذه الأحداث .

(٣) جدة غيثان سعدى بنت محسن من أب عمري ووالدتها تنتسب في جد شهري أعلى من قرية آل رزيق وهي قرية علي بن جريس ، والد غيثان. أما رحمة بنت محمد فهي تنتسب في أسرة آل سعيد بن زارع ، إحدى الأسر الرئيسة في عشيرة بني كريم ، ومازال لهذه الأسرة أبناء وحفدة كثيرون في محافظة النماص وفي نواح عديدة من المملكة العربية السعودية .

(٤) والدة غيثان انفصلت من زوجها علي بن جريس قبل ولادة هذا الطفل (غيثان) ، ومن ثم ذهبت إلى منزل أهلها ، وولدت ابنها وقامت على رعايته وتربيته خمس سنوات ، ثم أخذه والده إلى قريته الرئيسة (آل رزيق) ، واسترجع والدته مرة ثانية ، فبقيت مع زوجها فترة قصيرة لا تزيد على العامين ، ثم انفصلت عنه مرة أخرى ، ومكثت مع والدتها تقوم على رعايتها حتى توفيت أمها عام (١٤٠٢هـ/١٩٨٢م) ، ثم بقيت في منزل والدها ووالدتها حتى نقلها ابنها (غيثان) إلى منزله في قرية آل رزيق عام (١٤١٢هـ/١٩٩٢م) ، وفي عام (١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م) مرضت فنقلها ابنها من بلاد النماص إلى أبها ، وعاشت حوالي (١٣) سنة مريضة مقعدة فاقدة الوعي ، وتوفاها الله في أبها في (١٤٣٢/١١/١٣هـ) ، فنقلها ولدها (غيثان) من أبها لتدفن مع والدتها وبعض أهلها في مقبرتهم بقرية آل مقبول . فرحمها الله رحمة واسعة وأسكنها وأهلها جميعاً جنات النعيم ، وهي التي كان لها الفضل بعد الله في إقناع زوجها ووالد غيثان (علي بن جريس)، عام (١٣٨٤هـ/١٩٦٤م) حتى باع غنمه الستين التي كنت أنا وأخي منصور نقوم برعايتها ، ومن ثم أدخلنا المدرسة الابتدائية في النماص ، وكانت تلك الفترة الوجيزة التي عادت فيها والدتي لعصمة والدي خير وبركة عليه ، حيث انتقلت من حياة البادية والرعي إلى حياة العلم والتعلم . فرحم الله والدي ووالدتي ومن كان له فضل عليّ في حياتي العلمية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية.

الشهري ، الذي يقطن قرية آل رزيق الشهرية[١] ، ومن هذه القرية ذهب غيثان إلى المدارس الابتدائية السعودية في بلدة النماص[٢] ، ثم المتوسطة والثانوية في النماص أيضاً، وحصل على درجة الثانوية عام (١٣٩٦هـ/١٩٧٦م) ، ثم انتقل إلى مدينة أبها لدراسة المرحلة الجامعية ، فالتحق بكلية الشريعة وأصول الدين لمدة فصل دراسي، ثم انتقل إلى كلية التربية فرع جامعة الملك سعود بأبها، قسم التاريخ ، وحصل على درجة البكالوريوس عام (١٤٠٠هـ/١٩٨٠م)[٣] .

---

(١) قرية آل رزيق تقع شمال بلدة النماص وتبعد عنها بحوالي (٣ـ٥كم) ، وهي إحدى القرى الأربع (آل شوكان والحدب المعروفة بالحاضرة ، وآل معوطة ، وآل رزيق)وجميعها تسمى عشيرة بني جبير ، وموقعها استراتيجي بالنسبة لمن حولها من القرى، وذلك لسهولة أراضها وخصوبة تربتها . والوالد علي بن عبد الله بن جريس ينتسب إلى إحدى الأسر الرئيسة في قرية آل رزيق ، ويلتقي مع أسر أخرى مثل آل فرحان وفي جد أعلى يسمى (عفقان) ، واللحمة التي ينتسبون لها آل جريس وآل فرحان وغيرهما يطلق عليها (آل مطر). وقد اجتهدت كثيراً في معرفة الجذور العليا لهاتين الأسرتين ، أو تسمية قرية آل رزيق بهذا الاسم فلم أعثر على مصدر موثوق يوضح لنا ما نصبوا إليه ، والذاهب الآيب في قرى بني شهر وبني عمرو أو بلاد السراة الممتدة من الطائف إلى نجران يجد صعوبة في معرفة جذور وأنساب هذه القرى والبطون والعشائر، ولكن الشيء المحتمل والقريب من الصواب أن سكان هذه البلاد استوطنوا ديارهم منذ قرون سابقة للإسلام ، ولا يستبعد أن كثيراً منهم أو أغلبهم هاجروا من بلاد اليمن واستوطنوا هذه الأوطان ، وبعض كتب التراث المبكرة أطلقوا عليهم أزد السراة ، فهم تقريباً يعودون في أنسابهم إلى قبائل الأزد اليمانية القحطانية .

(٢) بلدة النماص ، يطلق عليها قديماً (القرية)، كانت ومازالت العاصمة الحضارية لبلاد بني شهر وبني عمرو ، ويقطنها عشيرة الكلاثمة ، وأسرة العسابلة هي التي تتولى المشيخة العامة على نصف قبائل بني شهر ، والمعروفين بـ (سلامان) ، أما النصف الآخر فيعرفون ببني أثله ويعودون في مشيختهم إلى أسرة آل الشبيلي في تنومه . وللمزيد انظر كتاب: بلاد بني شهر وبني عمرو خلال القرنين (١٣ـ١٤هـ/ ١٩ـ٢٠م) . للدكتور غيثان بن جريس ، ويقع في ثلاثة طبعات (الأولى عام ١٤١٣هـ، والثانية عام ١٤٢٩هـ ، والثالثة عام ١٤٣٤هـ) . أما عن تاريخ بدايات التعليم النظامي في النماص انظر أيضاً ابن جريس . تاريخ التعليم في منطقة عسير (١٣٥٤هـ/١٣٨٦هـ) ، الجزء الأول ، ص ٦١ـ٦٣، للمؤلف نفسه : القول المكتوب في تاريخ الجنوب (عسير أنموذجاً). الجزء الأول ، ص١٣٥ـ١٦٨ ، للمؤلف نفسه ، من رواد التربية والتعليم في المملكة العربية السعودية (محمد أحمد أنور) ، ص٣١ ، ٤٧١ـ٤٨٤ .

(٣) للمزيد من التفصيلات عن تاريخ أبها وعن تاريخ التعليم العام والعالي في مدينة أبها أو في منطقة عسير، انظر الكتب التالية: لغيثان بن جريس ، أبها حاضرة عسير ، وتاريخ التعليم في منطقة عسير (١٣٥٤هـ ـ ١٣٨٦هـ) ، الجزء الأول، وتاريخ التعليم العام العالي في منطقة عسر في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز (١٤٠٢ـ ١٤٢٣هـ) ، ومن رواد التربية والتعليم في المملكة العربية السعودية (محمد أحمد أنور) (دراسات ، وشهادات ، ووثائق). وللمزيد أيضاً عن غيثان بن جريس انظر ، محمد بن أحمد بن معبِّر. مؤرخ تهامة والسراة : غيثان بن علي بن جريس(دراسة توثيقية) ، ص ١٤ومابعدها ، للمؤلف نفسه . مواكب الأقلام (قراءات وتعليقات في التاريخ الإسلامي. بمكتبة الدكتور غيثان بن علي بن جريس العلمية ، ص ١٩ وما بعدها .

٣ـ الجغرافيا في النماص وأبها:

إن المتأمل للأوضاع الجغرافية في أبها والنماص خلال العقدين الأخيرين من القرن (١٤هـ/٢٠م) يلحظ أموراً عديدة منها:

أ ـ هطول الأمطار بشكل كبير طوال العام ، وهذا مما أثر في ثراء الغطاء النباتي ، فالذاهب من النماص إلى أبها يجد الجبال والوهاد والأودية مكسوة بالحشائش والغابات والشجيرات الخضراء المتنوعة[١]، وكذلك المياه تجري في الكثير من الأودية والجداول والغدران[٢].

ب ـ يشاهد الإنسان انتشار الخضرة والزرع في أنحاء البلاد، ونادراً أن يرى ناحية أو موقعاً تم الاعتداء عليه بالتجريف أو التشويه[٣].

ج ـ اكتساء الأرض بالأشجار والنبات خفف من عوامل التعرية ، وذلك بخلاف ما نراه اليوم ، فعندما امتدت يد الإنسان إلى الطبيعة ، تراجعت الزراعة ، وتلاشت الغابات والنباتات ، وزادت نسبة التعرية وخراب الطبيعة، وهذا بدون شك أثر في التربة ونقص المياه ، وتدهور الحياة الفطرية، وامتد تأثير ذلك إلى مزاج الإنسان وراحته الجسدية والنفسية[٤].

---

(١) كانت جميع البلاد خضراء زاهية ، ومن ثم ترى وتسمع الطيور والزواحف والحيوانات البرية والأليفة بأنواعها. أما اليوم فلم نعد نرى أو نسمع أو نعيش تلك الحياة الفطرية الجميلة الهادئة ، وإنما عم الجفاف والقحط وتغيرت معالم الأرض الطبيعية والمناخية. .

(٢) تجد الآبار مليئة بالمياه ، والسواقي والأودية والغدران في كل مكان ، وهذا مما كسى الأرض طبيعة جميلة وخلابة .

(٣) كانت الزروع والمزارع هي العمود الفقري عند سكان محافظة النماص وحاضرة أبها ، وقد شاهدنا وعملنا في المزارع المختلفة ، ولم يكن هناك مشاريع هدم وتشييد أو شق طرق أو بناء قرى وعمائر جديدة ، كما نشاهد اليوم ، ومن ثم كانت طبيعة بكراً في غاباتها وجبالها ووهادها ومزارعها ، فلا ترى إلا خضرة وجمالاً في كل مكان ، وذلك خلاف مانراه اليوم الذي تحولت فيه الغابات والمزارع إلى مخططات عمرانية ، ومن ثم أصبحت البلاد جرداء لا نبات فيها ولا ماء .

(٤) هذه الأقوال والأحاسيس عشناها وعرفناها منذ ثمانينيات القرن الهجري الماضي حتى اليوم ، كنا في الماضي نخرج إلى البراري والجبال فنرى طبيعة جميلة كساها الله الكثير من صنوف الجمال ، واليوم نخرج إلى نفس المواضع فلا ترى إلا أراضٍ جرداء ، وأحياناً تكون مشوهة بفعل الإنسان وخرابه .

٤ـ حياة المجتمع في النماص وأبها :

أ ـ طبقات المجتمع :

معظم مجتمعات النماص وأبها قبائل عربية ، فسكان حاضرة النماص ، هم قبائل بني شهر وبني عمرو، ويتفرعون إلى عشرات العشائر والبطون والأفخاذ [١]، وسكان حاضرة أبها هم قبائل عسير الأربع الرئيسة (بنو مغيد ، وبنو مالك ، وعلكم ، وربيعة ورفيدة) [٢]، ويشاركهم عشائر أخرى تعود في أنسابها إلى قبيلتي شهران وقحطان[٣].

عاش مع المجتمع النماصي والأبهاوي في العقدين الأخيرين من القرن الهجري الماضي بعض العناصر الأخرى ، فهناك أجناس بشرية قدمت إلى هذه البلاد خلال القرون الماضية المتأخرة ، ثم استقرت بها، وانصهرت مع السكان الأصليين حتى صاروا منهم ومعهم ، بل أصبحوا ينتسبون إلى البطون والعشائر الرئيسة، وصاروا مثل غيرهم من أهل البلاد [٤]، وهناك عناصر يمنية كثيرة كانوا يعملون في مهن البناء والعمارة ، أو حفر الآبار ، في بلدة النماص أو مدينتي أبها وخميس مشيط وما جاورهما ، وقد شاهدت في النصف الأخير من العقد التاسع خلال القرن (١٤هـ/٢٠م) بعض اليمنيين الذين كانوا يعملون في المطاعم وبيع الفول والتميس ومهن اقتصادية أخرى[٥].

---

(١) للمزيد عن سكان النماص أو بني شهر وبني عمرو انظر ابن جريس ، بلاد بني شهر وبني عمرو خلال القرنين (١٣ـ١٤هـ) ، الطبعة الثانية أو الثالثة ، ص١٨ وما بعدها .

(٢) للمزيد عن حاضرة أبها وتركيبتها السكانية انظر ابن جريس ، أبها حاضرة عسير (دراسة وثائقية) (الرياض : مطابع الفرزدق ، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م) ، ص١٤ وما بعدها .

(٣) إذا تحدثنا عن حاضرة أبها بمفهومها الواسع من وسط مدينة أبها إلى محافظتي خميس مشيط وأحد رفيدة ثم الفرعاء (القرعاء)، فهي تشمل أغلب قبائل عسير الأربع وعشائر عديدة من قبيلتي قحطان وشهران . للمزيد انظر ، ابن جريس ، أبها حاضرة عسير ، ص٢٦ وما بعدها .

(٤) المتأمل الفاحص في تركيبة السكان في محافظة النماص وحاضرة أبها يجد أن أصول هذه الأجناس تعود إلى بلاد إفريقيا ، أو العراق ، أو الشام ، أوالهند ، أو تركيا (العثمانيون سابقاً) وغيرهم . يوجد لدى الباحث عشرات الدلائل والبراهين والوثائق التي تؤكد ما ذهب إليه. والباحث في أصول أهل البلاد بشكل عام يجد أن بعض البطون أو العشائر عدنانية وأخرى قحطانية بل بعضهم نزحوا من مواطن بعيدة في شمال أو جنوب الجزيرة واستقروا في حاضرة أبها أو محافظة النماص. ولدينا بعض المدونات أو الإشارات أو المصادر التي تدعم أقوالنا وتسندها .

(٥) كان اليمنيون يدخلون إلى السعودية بل يخرجون من وإلى بلادهم بدون أي هوية أو جواز أو إقامة ، وهذه سياسة الحكومة السعودية آنذاك فقد سهلت لهم القدوم من أوطانهم إلى جميع أجزاء المملكة العربية السعودية ، وفي عام (١٤١٠هـ/١٩٩٠م) دخل صدام حسين الكويت ، وأيدت الحكومة اليمنية اعتداءه على جيرانه الكويتيين ففيرت الدولة السعودية سياستها وصار اليمني يعامل مثل غيره في الدخول والخروج من السعودية ، إذ عليه الحصول على تصريح دخول ، ويكون تحت كفالة شخص أو مؤسسة حكومية أوأهلية سعودية ، وقد شاهدنا اليمنيين في ثمانينيات وتسعينيات القرن الهجري الماضي وهم يأتون إلى حاضرة أبها ومحافظة النماص ويتمتعون بالذهاب والإياب كيفما شاءوا ومتى أرادوا . المصدر : مشاهدات الباحث .

كما وجد بين أهل أبها والنماص بعض الفلسطينيين ، والأردنيين والسوريين والمصريين والسودانيين وأحياناً من العراقيين وبعض الأوربيين والأمريكان وجميع هؤلاء عملوا في مهنة التعليم العام والجامعي [١] ، كما عمل بعضهم في الخدمات الطبية ، وربما عمل قليل منهم في المشاريع العمرانية مثل شق الطرق ، وبناء الأبنية الحكومية ، والسدود ، ومطارات عسير المدنية والعسكرية[٢].

كما توجد في أبها والنماص عناصر قليلة من شرق آسيا مثل[٣] : الكوريين ، والفلبينيين ، والصينيين، والهنود ، والباكستانيين ، وكانوا يعملون غالباً في المشاريع العمرانية مثل شق الطرق البرية [٤]، والمطارات والسدود ، وربما عمل بعضهم في بناء العمائر الحكومية مثل : عمارة الراجحي والهاتف في وسط مدينة أبها وغيرها [٥] .

والدارس للمؤسسات الحكومية الرسمية في أبها والنماص يجد أعداداً من العاملين فيها من خارج منطقتي أبها والنماص ، فمنهم من جاء من نواح في تهامة والسراة مثل: جازان ،

---

(١) شاهدنا جميع هذه العناصر وهم يعملون في مجال التعليم العام في محافظة النماص ، أو التعليم العام والعالي في حاضرة أبها ، بل تعلمنا على يد كثير منهم ، وكان المعلم أو الأستاذ السعودي نادراً في قطاع التعليم ، وإن وجد فكان ذا مؤهل بسيط يعادل في قطاع التعليم ، المرحلة المتوسطة وأحياناً الثانوية . للمزيد عن تاريخ التعليم في منطقة عسير ، انظر : ابن جريس، تاريخ التعليم ، الجزء الأول ، وتاريخ التعليم العام والعالي في منطقة عسير ، ومن رواد التربية والتعليم في المملكة العربية السعودية ، محمد أحمد أنور ، والقول المكتوب في تاريخ الجنوب ، الجزءان الأول والثاني .

(٢) عندما كنت طالباً في النماص وفي مدينة أبها من عام (١٣٨٤ــ١٤٠٠هـ/١٩٦٤ــ١٩٨٠م) شاهدت جميع هذه العناصر فقد كانت تعمل في قطاعات الحكومة المختلفة مثل: المشاريع العمرانية ، والخدمات الطبية . المصدر : تجارب ومشاهدات الباحث خلال الثمانينيات والتسعينيات من القرن (١٤هـ/٢٠م) . وللمزيد عن المواصلات الجوية أو المطارات في عسير ، انظر كتاب: أبها حاضرة عسير ، لابن جريس ، ص٤١٩ وما بعدها .

(٣) كانت هذه العناصر قليلة ، وغالباً يتبعون لشركات توفر لهم النقل والسكن والرعاية ، وكان الكوريون والباكستانيون والصينيون من أكثر هذه الأجناس الذين عملوا في بناء مطاري أبها المدني ، وخميس مشيط العسكري ، وفي شق الطرق الرئيسة في منطقة عسير . وكان الباحث يدرس في الجامعة بأبها من عام (١٣٩٦ــ١٤٠٠هـ/١٩٧٦ــ١٩٨٠م) ، ويمتلك سيارة أجرة (تاكسي) يعمل عليه في أثناء فراغه ، فهو شاهد عيان للكثير من هؤلاء العمال الذين يدخلون ويخرجون إلى مطار أبها أثناء تشييده .

(٤) عاصر الباحث شق طريق أبها النماص في تسعينيات القرن الهجري الماضي وكان معظم العمال الذين نفذوا هذه الطريق من الجنسية الكورية وربما الصينية ، ومعهم عناصر أخرى عربية (مسلمة وغير مسلمة) وأوربية وأمريكية تشرف عليهم وترسم المخططات لهم . معاصرة الباحث ومشاهداته لتلك الحقبة .

(٥) عندما كانت تشيد بعض المشاريع العمرانية في أبها وخميس مشيط في أثناء تسعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) ، كان الباحث معاصراً ومشاهداً لبعض تلك المشاريع ، وكانت العناصر الآسيوية وبعض الأوربية هي المنفذة لها . ودراسة التركيبة السكانية في منطقة عسير خلال النصف الثاني من القرن (١٤هـ/٢٠م) موضوع يستحق أن يكون عنواناً لكتاب أو رسالة علمية ، ونأمل أن نرى أحد الباحثين الجادين يتولاه بالبحث والتحليل والدراسة .

والباحة ، والطائف ، ومنهم من جاء من أهل الحجاز ، أو نجد وأحياناً من القصيم أو المناطق الشمالية والشرقية ، والبعض من هؤلاء استوطنوا منطقة عسير وتزوجوا من نسائها ، وصاروا يذهبون ويعودون إلى هذه البلاد الجنوبية ، وآخرون عملوا في وظائفهم الحكومية ، ثم انتقلوا أو تقاعدوا وعادوا إلى مواطنهم الرئيسة[١] .

ب ـ الأسرة :

كانت الأسرة حتى نهاية القرن الهجري الماضي، وبدايات هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) مترابطة بشكل جيد في جميع أتراحها وأحزانها ، وكبير الأسرة مثل الجد أو الوالد هو المرجع لجميع أفراد الأسرة نساءً ورجالاً[٢]، والأسر في قرى وأرياف محافظة النماص خلال الثمانينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) عاشت في جو يسوده الحب والتراحم والتكاتف والتعاون ، فتجد أفراد الأسرة الواحدة يعملون جميعاً من أجل كسب أرزاقهم ، فإذا كانوا مزارعين بذلوا جهودهم في استصلاح مزارعهم ، وإن كانوا من البدو رعاة عملوا في مهن الرعي والصيد والجمع والالتقاط [٣] .

---

(١) حديثنا في الصفحات السابقة لا يقتصر على جنس الذكور فقط ، وإنما جاء إلى بلاد أبها والنماص عناصر نسائية عديدة من بعض الدول العربية فعملوا في القطاعات التعليمية والطبية وأحياناً في الشؤون الاجتماعية كالرعاية الاجتماعية ودور التربية الفكرية ، كما جاء إليها أيضاً بعض النساء الغربيات أو الشرقيات للعمل في مهنتي التدريس والطب ، وكذلك العناصر السعودية التي جاءت من نواح عديدة في المملكة فقد جلبوا معهم نساءهم وبناتهم وأبنائهم للعيش معهم في أثناء أداء أعمالهم في الديار النماصية والأبهاوية . ودراسة هذه العناصر المختلفة وتأثرها بأهل البلاد الرئيسة ، موضوع يستحق البحث والدراسة .

(٢) انظر: غيثان بن جريس عسير: دراسة تاريخية في الحياة الاجتماعية والاقتصادية (١١٠٠ـ١٤٠٠هـ/ ١٦٨٨ ـ ١٩٨٠م) (جدة : دار البلاد للطباعة والنشر ، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م) ص ٣٥ وما بعدها .

(٣) مشاهدات الباحث خلال الثمانينيات من القرن (١٤هـ/٢٠م) . وإذا قارنا وضع الأسرة اليوم مع وضعها قديماً فإن البون شاسعاً حيث دب التفكك والتباعد بين أفراد الأسرة الواحدة في وقتنا الحاضر ، ووفرة المال في أيدي الناس وسعة العيش من الأسباب الرئيسة لهذا التدهور الاجتماعي . حبذا أن تنشأ مراكز بحث علمية اجتماعية لتقوم بدراسة المجتمع السعودي وما حل به من المشاكل فتدرس ويوضع لها الحلول المناسبة .

وعند ظهور الوظائف الحكومية والتعليم بجميع مراحله في منطقة عسير وغيرها من مناطق المملكة بدأ الرجال في الأسرة الواحدة يغادرون بلادهم من أجل التعليم أو الوظيفة ، لكنهم على علاقة جيدة مع باقي أفراد أسرهم في مواطنهم الأصلية[١]، وبلغ الأمر مداه منذ تسعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) ، فبعد أن كانوا يعيشون في منزل واحد ، أصبحوا يسكنون في منازل متعددة سواءً داخل منطقة عسير أو خارجها [٢] ، وتوسع الأمر حتى صاروا يعيشون في بيوت متفرقة في القرية أو الحي الواحد بمحافظة النماص أو حاضرة أبها ، وإذا كان هذا الوضع ذا أثر إيجابي حيث تحسنت أحوال الناس المعيشية والسكنية ، وفي مقابل ذلك ظهر الأثر السلبي وهو تباعد أفراد الأسرة الواحدة ، وأحياناً تقاطعهم وتشاحنهم وتوتر العلاقات بينهم[٣] .

ج) العمارة بأنواعها :

عرفت النماص وأبها عدداً من أنواع العمارة ، ففي النماص يبنون منازلهم بالحجارة والطين ، وتتفاوت أحجام البيوت من غرفة وغرفتين إلى طابق وطابقين، وهناك بعض قصور الشيوخ والأعيان والأغنياء، وتتكون من عدة أدوار بالإضافة إلى بعض الملاحق والأحواش[٤] ،

---

(١) دراسة الهجرات من الأرياف إلى المدن خلال العقود الخمسة الماضية موضوع يستحق أن يخرج عنه العديد من البحوث العلمية الأكاديمية ، وهذه مسؤوليات الجامعات ومراكز أبحاثها العلمية .

(٢) المصدر : معاصرة الباحث ومشاهداته لهذه التغيرات الاجتماعية خلال الخمسين سنة الماضية .

(٣) عاش الباحث في محافظة النماص خلال ثمانينيات وأوائل التسعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) ، فرأى التآزر والتكاتف والتراحم الجميل الذي عاشه الناس آنذاك . ثم انتقل إلى أبها وشاهد مراحل التطور المدني الذي مرت به حاضرة أبها ، وكيف بدأ الناس في النماص وأبها يشتغلون بحياتهم اليومية ، ويتباعد الأقارب عن بعضهم ، حتى أصبحوا لا يجتمعون إلا في المناسبات العامة ، وربما بعضهم لا يستطيع حضور مثل هذه المناسبات إما لسفره ، وإما لوجود بعض التوترات أو الشحناء أو القطيعة ، ومثل هذه الأوضاع السلبية كانت غير موجودة في الماضي ، وبخاصة عندما كان أفراد المجتمع جميعهم في أوضاع اقتصادية بائسة أو ضعيفة .

(٤) المصدر : مشاهدات الباحث خلال العقدين الأخيرين من القرن (١٤هـ/٢٠م).

وفي التسعينيات ظهرت بعض المنازل المبنية بالأسمنت والحديد بدلاً من الأحجار والطين ، وأيضاً المنازل أو الغرف من الصفيح (الزنك) مع الخشب وأحياناً الحديد[١] .

وفي أبها كان الوضع أحسن حالاً من محافظة النماص ، فهناك المنازل المبنية من الحجارة والطين ، وأحياناً من الطين فقط ، ومنذ الثمانينيات بدأت العمارة الحديثة تنتشر في أنحاء حاضرة أبها ، ولم يأت العقد التاسع من القرن (١٤هـ/٢٠م) إلا ومدينة أبها أصبحت مليئة بالعمائر المسلحة المكونة من دور ودورين ، وهناك عمائر زادت طوابقها حتى وصل بعضها إلى الثمانية وتسعة أدوار [٢] .

وظهر أنواع أخرى من العمارة مثل: الطرق القديمة ، والعقبات التي تربط بين حاضرتي النماص وأبها ومناطق الإصدار أو الأجزاء التهامية ، وتطورت بعض تلك الطرق أو العقبات حتى صارت طرقاً مسفلتة تسلكها السيارات ، ومن أهم الطرق التي أنشئت في تسعينيات القرن ١٤هـ/٢٠م) طريق النماص أبها ، وعقبة ضلع ، وعقبة شعار[٣] ، والأسواق الأسبوعية ، والمقابر ، والآبار ، والمساجد ، والمدرجات الزراعية، والمتنزهات أو الحدائق وبخاصة في حاضرة أبها ، كل هذه الأنواع من العمارة عرفها الإنسان النماصي والابهاوي ، وجميع مواد البناء كانت محلية في الثمانينيات وما قبلها ، ثم بدأت تدريجياً في استخدام الأسمنت والحديد في أواخر الثمانينيات والتسعينيات ، وكانت الأيدي العاملة من البنائين وغيرهم محلية ، ثم حل محلهم الأيدي العاملة اليمنية، ثم وفدت إلى البلاد أجناس عديدة أخرى فعملت في قطاع العمارة بأنواعها[٤] .

---

(١) المصدر نفسه . بعد افتتاح صندوق التنمية في أبها في نهاية القرن الهجري الماضي ازدادت العمائر المسلحة ، وبدأ الناس في الاقتراض من هذا الصندوق وإنشاء عمائر ومرافق عمرانية حديثة .

(٢) للمزيد عن تاريخ العمارة في عسير ، انظر ابن جريس ، عسير دراسة تاريخية في الحياة الاجتماعية والاقتصادية ، ص٣٧ وما بعدها .

(٣) بدأت الدولة في تنفيذ هذه الطرق في نهاية القرن الهجري الماضي ، ولم ينته العمل من بعضها إلا في بداية هذا القرن (١٥/٢٠م) . وتاريخ المواصلات في منطقة عسير خلال الخمسين سنة الماضية موضوع يستحق أن يكون عنواناً لكتاب أو رسالة علمية .

(٤) مثل الباكستانيين والأفغانيين ، والهنود ، وبعض الدول العربية الأخرى ، وتاريخ أنواع العمارة والأيدي العاملة في هذا القطاع موضوع مهم وبخاصة في تاريخ الدولة السعودية الحديثة ، نأمل من أقسام التاريخ والهندسة المعمارية في جامعات المملكة العربية السعودية أن تولي هذا الميدان أهمية في بحوثها ودراساتها ومراكزها البحثية .

د ـ الأطعمة والأشربة والألبسة والزينة :

لقد درست موضوعات الألبسة والأطعمة القديمة في منطقة عسير خلال الثلاثة قرون الماضية[١] ، ولكن هناك بعض المشاهدات والمتغيرات التي عاصرناها في أبها والنماص خلال العشرين عاماً الأخيرة من القرن (١٤هـ/٢٠م) ، وسوف نذكر أهمها في النقاط التالية .

١ ■ معظم الأطعمة والأشربة قديماً كانت من مزروعات أهل أبها والنماص ، وأطعمة أخرى من لحوم وألبان ثرواتهم الحيوانية، ولا تخلو أسواقهم الشعبية من بعض الأشربة والأطعمة التي كانت تجلب من أسواق الحجاز وجازان وموانئ البحر الأحمر[٢]، وفي ثمانينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) وما قبلها لم تعرف حاضرة النماص وربما أبها المطاعم التجارية[٣]، وإنما جميع الأطعمة تُطهى في المنازل ، وكل الأسر وبخاصة النساء يقمن بإعداد الأشربة والأطعمة لأفراد أسرهن ، وفي الاحتفالات العامة يتعاون الرجال والنساء في تجهيز الأطعمة والأشربة اللازمة لأي مناسبة اجتماعية عامة[٤] .

---

(١) لمزيد من التفصيلات انظر كتابنا: عسير دراسة تاريخية في الحياة الاجتماعية والاقتصادية (١١٠٠ـ١٤٠٠هـ) ، ص٥٨ـ ٧٣ .

(٢) عاصر الباحث الكثير من أطعمة وأشربة الحضر والبادية القديمة في محافظة النماص خلال الثمانينيات القرن الهجري الماضي، واطلع على آلاف الوثائق القديمة التي تذكر الكثير من أنواع الأطعمة والأشربة التي عرفها سكان تهامة والسراة خلال القرنين (١٣ـ١٤هـ/١٩ـ٢٠م) ، التي كان بعضها محلياً وأخرى مستوردة من بعض الحواضر والمناطق الأخرى في الجزيرة العربية .

(٣) قلنا (ربما في أبها) لأننا لم نعرف أبها قبل عام (١٣٩٦ هـ/١٩٧٦م) ، مع أن الرواة والوثائق تذكر أسماء بعض المطاعم التابعة لبعض المؤسسات الإدارية في أبها ، والثابت أن معظم سكان حاضرة أبها وبخاصة أريافها كانوا مثلهم مثل أهل النماص في إعداد أطعمتهم في منازلهم . المصدر: سمع الباحث هذه الروايات من بعض الرواة العسيريين ، واطلع على وثائق تاريخية حديثة تؤكد ذلك .

(٤) المقصود بالاحتفالات أو المناسبات الاجتماعية العامة ، مثل : استقبال الضيوف الذين يفدون على أهل البلاد من جيرانهم أو من نواح أخرى ، وفي مناسبات الزواج ، والختان ، والمآتم ، أو الاحتفاء بقدوم مولود جديد ، أو بناء منزل ، أو حفر بئر ، أو سلامة إنسان من مصيبة حلت به . وتاريخ الطعام والشراب في بلاد السروات أو تهامة خلال القرنين (١٣ـ١٤هـ/١٩ـ٢٠م) موضوع جديد في بابه ويستحق أن يخرج عنه بحوث ودراسات عديدة .

٢■ لم تعرف المنطقة الأيدي العاملة التي تقوم بطهي الطعام وتجهيز الشراب ، إلا في بعض بيوت الشيوخ والأعيان والأغنياء فهناك الجواري والعبيد الذين يقومون على خدمة أسيادهم في إعداد بعض الأشربة والأطعمة[١].

٣■ عاصرنا في بلدة النماص في أواخر الثمانينيات وأوائل التسعينيات بعض العمال اليمنيين الذين كانوا يعملون في إعداد خبز (التميس) والفول وأحياناً البيض، وكان هناك بعض الدكاكين التي يتاجر أصحابها في العديد من الأطعمة والأشربة مثل: الجبن: والبسكويت والمربى ، وبعض الفواكه. كالموز ، والتمر، والتفاح، والبرتقال وغير ذلك [٢].

٤■ عندما سافرنا إلى مدينتي أبها وخميس مشيط عام (١٣٩٦هـ/١٩٧٦م) شاهدنا العديد من الأطعمة والبوفيهات الصغيرة التي تبيع أنواعاً عديدة من الأطعمة مثل الأرز، واللحم، والدجاج ، والمرق، والخبز، وبعض الإدام ، كالفاصوليا ، والبامية ، والخضار المشكل ، والملوخية ، والباذنجان وغيرها ، وكان لفرعي جامعتي الملك سعود، والإمام محمد بن سعود الإسلامية في أبها مطاعم خاصة بالطلاب فتقدم لهم ثلاث وجبات في اليوم (فطور ، وغذاء ، وعشاء) بمبلغ خمسة ريالات فقط[٣].

٥■ تتكون الألبسة القديمة عند الرجال من الثوب ، والعمامة (الغترة) وبعض الأردية والأحزمة المتنوعة في أحجامها وألوانها ، وكذلك ألبسة النساء ثياب وأردية خاصة بهن ،

---

(١) تاريخ الجواري والعبيد في مناطق جازان أو نجران أو عسير أو الباحة أو القنفذة ، وفي عموم بلاد تهامة والسراة خلال القرنين (١٣ـ١٤هـ/١٩ـ٢٠م) موضوع يستحق أن يصدر عنه العديد من البحوث والدراسات . وهناك مئات الوثائق غير المنشورة التي تصب في خدمة هذا الموضوع ، وتوجد في أماكن متفرقة داخل المملكة العربية السعودية وخارجها.

(٢) كان هناك عدد من الدكاكين التجارية وسط بلدة النماص المعروفة بالقرية ، وأحياناً يطلقون على ذلك الوسط (المحل) . وجميع الباعة في تلك الحوانيت من أهل المنطقة ، وربما ساعدهم بعض العمال اليمنيين ، بل كان هناك بعض التجار العدنيين الذين يمتلكون بعض الحوانيت التجارية الصغيرة . المصدر : مشاهدات الباحث .

(٣) الفطور بريال واحد ، والعشاء والغداء كل وجبة بريالين ، وهذه وجبات مخفضة من الجامعة ، وخاصة بالطلاب فقط . مشاهدات الباحث ومعاصرته خلال النصف الثاني من العقد التاسع من القرن (١٤هـ/٢٠م) . وللمزيد عن بدايات تاريخ التعليم العالي في منطقة عسير ، انظر ابن جريس ، أبها حاضرة عسير ، ص ١٠١ـ١٢٧ ، وتاريخ التعليم العام العالي في منطقة عسير في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز ، ص ٢٩٣ ـ ٣٦٠ .

والخمر والقناع أو الشيلة وأحياناً الطفشة على الرأس ، وكانت الألبسة في الماضي محدودة وقليلة ، وبعضها يصنع محلياً ، وأخرى تستورد من بلاد الحجاز أو بعض موانئ البحر الأحمر[١]، وفي الثمانينيات والتسعينيات تنوعت الألبسة عند الناس ، ورأيت أهل النماص وأبها (نساءً ورجالاً) يرتدون بعض الألبسة الخارجية المتنوعة في أشكالها وأنواعها . فالرجال كباراً وصغاراً ، يرتدون الأثواب ، والأكوات ، والعمائم (الغتر) الحمراء والبيضاء ، والعقال ، وألبسة داخلية كالسراويل والفنايل ، والأحذية مثل: النعال والجزمة (الكندرة) [٢]. أما النساء فلهن ايضاً الأثواب من فساتين وغيرها وسروايل وأحذية متنوعة في ألوانها وأحجامها ومواد صنعها[٣].

٦■ كانت بلدة النماص وحاضرة أبها تحوي العديد من الدكاكين والأسواق الصغيرة التي يباع فيها أنواع عديدة من الألبسة الداخلية والخارجية للرجال والنساء ، ويوجد في تلك الأسواق أقمشة خام ، وخياطون يقومون بخياطة وتفصيل الملابس المتداولة عند الناس ، والخياطون أحياناً من أهل البلاد أنفسهم، ومنذ أواخر الثمانينيات ظهر بعض الخياطين اليمنيين أو من جنسيات عربية أخرى[٤].

---

(١) للمزيد انظر ابن جريس . عسير (١١٠٠ــ١٤٠٠هـ) ، ص٦٥ وما بعدها .

(٢) المرجع نفسه ، ص ٦٦ــ ٧٣ . نحتاج إلى عشرات الصفحات لذكر أسماء تلك الألبسة وأشكالها وأسعارها ومواد صنعها وطريقة خياطتها ، وألبسة الأطفال تختلف عن ألبسة الكبار ، وألبسة أهل البوادي تختلف عن لباس أهل القرى والحواضر الكبيرة في منطقة عسير .

(٣) أيضاً ألبسة النساء والبنات الصغار متنوعة في أنواعها ، ومختلفة عند أهل الحضر والأرياف والبوادي في حاضرتي أبها والنماص . مشاهدات الباحث منذ عام (١٣٨٠هـ ــ ١٤٠٠هـ)، وبعض العناصر التي وفدت على أبها والنماص كان لهم أيضاً ألبسة خاصة بهم ، ومن أهمها البنطال ، والأقمصة ، و (الكرفتة) للرجال ، وهناك فساتين وأقمصة ، وثياب عرفت بـ (الكرتة) أو ثياب متنوعة في أشكالها وألوانها تم لبسها من قبل نساء هذه الأوطان أو من وفد عليهن من نساء أخريات ، وقد شاهدت معظم المعلمين في النماص وأبها وهم من بلدان عربية وأجنبية مختلفة يلبسون القميص والبنطال ، ورؤوسهم عارية ، وهذه الألبسة الأجنبية غزت مجتمع أبها والنماص ، بل عموم أجزاء المملكة العربية السعودية حتى صار الكثير من أبنائنا وشبابنا اليوم يعزفون عن لبس الثوب ويلبسون الألبسة الأجنبية .

(٤) عرف الباحث بعض الخياطين في بلدة النماص والقرى المحيطة بها وفي سوقي الثلاثاء الأسبوعيين في أبها والنماص ، وفي بعض الأسواق الحديثة في وسط مدينتي أبها وخميس مشيط . بل إن بعض ربات أو أرباب البيوت يمارسون خياطة ملابس أبنائهم وبناتهم ونسائهم . وكانت حياة الناس بسيطة حتى أوائل التسعينيات ، ثم تكاثرت الأسواق وفاض المال في أيدي البشر حتى صار الفرد الواحد (ذكر وأنثى) يقتني صنوف الألبسة الداخلية والخارجية ، وأصبحنا اليوم عاجزين عن رصد تاريخ هذه الألبسة بشتى أنواعها وأشكالها وأسعارها .

■ المتجول اليوم في سوق الثلاثاء الأسبوعي بأبها أو في بعض الدكاكين الشعبية في أسواق أبها وخميس مشيط الحديثة يشاهد أنواعاً من الألبسة القديمة التي كنا نلبسها نحن وآباؤنا وأجدادنا خلال النصف الثاني من القرن (١٤هـ/١٥م) ، ومن يزور المتاحف الشعبية في منطقة عسير يلحظ في بعض أركانها عدداً من الألبسة القديمة، والمصنوعة من الجلود أوالأقمشة أو البلاستيك وأحياناً الحصير أو سعف النخل[١] .

■ الزينة للرجال والنساء باب واسع [٢] ، ففي القديم يتزين الجنسين بالحناء ، والرياحين ، والكحل، ويلبس الرجال بعض الأحزمة أو الأسلحة كالخناجر والسيوف ، وقد يضع بعضهم خاتماً في يده، أو قلماً في جيبه ، أو يحمل مسبحة في يده . أما النساء فيلبسن في أيديهن ورقابهن وآذانهن ، بعض الحلي الفضية والنحاسية ، وهناك نساء يلبسن الذهب على رؤوسهن وصدورهن وأذرعهن[٣] .

هـ المجالس الاجتماعية :

عرفت بلاد النماص وأبها تجمعات اجتماعية متباينة في أوقاتها وأهدافها وأعداد المشاركين فيها، فأفراد الأسرة الواحدة أو الأسر المتقاربة أو المتجاورة في مكان واحد كانوا خلال الثمانينيات وأوائل التسعينيات يلتقون جميعاً على الوجبة الواحدة (الفطور ، والغداء ،

---

(١) عرف الباحث بعضاً من تلك الألبسة في النماص وأبها خلال العقدين الأخيرين من القرن (١٤هـ/٢٠م) ، ومازلنا نشاهدها في الأسواق الشعبية وفي بعض المتاحف الأهلية التي زرناها في بلاد عسير خلال السنوات العشر الماضية . وتاريخ الألبسة والزينة في منطقة عسير منذ عام (١٣٥٠ ـ ١٤٠٠هـ / ١٩٣١ـ١٩٨٠م) موضوع جديد في بابه ويستحق أن يكون عنواناً لرسالة ماجستير أو دكتوراه .

(٢) الزينة والتزين في منطقة عسير خلال القرن (١٤هـ/٢٠م) موضوع يستحق البحث والدراسة ، حبذا أن نرى أحد من طلاب الدراسات العليا في قسم التاريخ . بجامعة الملك خالد يتخذه عنواناً لرسالته العلمية . وللمزيد انظر ، ابن جريس، عسير (١١٠٠ـ١٤٠٠هـ) ، ص ٦٥ وما بعدها .

(٣) خلال العقود الثلاثة الأخيرة من القرن (١٤هـ/٢٠م) وجد في مدينتي أبها والنماص أسواقاً عديدة للذهب ، وقد شاهدنا معظم الباعة في تلك الأسواق من السعوديين واليمنيين ، كما رأينا أنواعاً أخرى مختلفة للزينة والتجمل، ومازالت المتاحف في منطقة عسير تحوي الكثير من تلك الأنواع ، بعضها ذات صنع محلي وأخرى مستوردة من اليمن والحجاز، وأحياناً من خارج حدود المملكة العربية السعودية .

والعشاء)، وفي أثناء هذا اللقاء يتحدثون في أمور حياتهم اليومية[١]، وربما اجتمع بعض أفراد الأسر للسمر بعد صلاة المغرب حتى وقت قليل بعد صلاة العشاء ، وفي هذه الاجتماعات يمارسون بعض الألغاز، أو يسمعون بعض الطرائف أو القصص الشعبية التي يرويها بعضهم[٢].

وإذا انتقلنا إلى مجالس العلماء والدعاة ، فهي الأخرى متعددة ، فالبعض من القراء أو الدعاة أو طلاب العلوم الشرعية يلتقون الناس في مساجدهم ، وأحياناً في تجمعاتهم العامة ، أو في بعض بيوت الأعيان فيلقون عليهم بعض الدروس الدعوية الدينية الشرعية[٣]، وكانت تلك النشاطات الاجتماعية الدعوية تمتد إلى مجتمع مدارس التعليم العام في النماص وأبها ، وإلى قاعات الدرس وسكن الطلاب الجامعيين في أبها[٤].

---

(١) هذا ما عاشه الباحث وشاهده في قريتي آل مقبول وآل رزيق في محافظة النماص ، كما شاهد ذلك عند بعض الأسر الأبهاوية في حيّي شمسان والقابل خلال النصف الثاني من العقد التاسع في القرن الهجري الماضي .

(٢) كنا نحن الشباب الصغار نجلس مع بعض الأسر في قرية والدي (آل رزيق) ، فنراهم رجالاً ونساء يتسامرون ويروي أحد الرواة بعض الأخبار والروايات الاجتماعية ، ومازلت أذكر بعض الرجال في القرية الذين كانت عندهم قدرة على الحديث الاجتماعي الممتع ، والذين كان لهم قبول جيد في مجالس الناس الاجتماعية .

(٣) لقد عاصرت جزءاً من تاريخ الدعوة في جنوبي البلاد السعودية من عام (١٣٨٠ـ ١٤٠٥هـ/١٩٦٠ـ١٩٨٤م)، وكان لها جوانب إيجابية كثيرة وأخرى سلبية ، من حيث أهداف توجه الخطاب الدعوي من الدعاة أنفسهم ، والأثر الذي تركه ذلك الخطاب على المتلقين ، وما نتج عن تلك الفترة من آثار على المجتمع الجنوبي خاصة ، والمجتمع السعودي عامة. وحتى هذا التاريخ لم يدرس تاريخ الدعوة في الجنوب السعودي أو في المملكة العربية السعودية دراسة حقيقية علمية منصفة . ونأمل من المؤرخين وأساتذة الدعوة والشريعة أن يلتفتوا لدراسة تلك الفترة الحساسة والهامة ، وقد تحدثت مع بعض أقطاب الدعوة في تلك الفترة وطلبت منهم أن يدونوا لنا ذكرياتهم أو يزودوننا ببعض مذكراتهم فلم أجد آذاناً صاغية ، والبعض منهم كانوا يقللون من شأن تلك الحقبة ، لكنني لا أتفق معهم لأنني عاصرت جزءاً منها عندما كنت في سن العشرين ، لكنني لم أكن منخرطاً في معمعتها ، وإنما كنت شاباً في سن المراهقة أسمع وأرى وأشاهد .

(٤) يوم أن كنت في مدارس التعليم في النماص ، وكليات التعليم العالي في أبها كان يتردد علينا بعض القضاة أو الدعاة أو أساتذة كلية الشريعة وأصول الدين في أبها (ومعظمهم غير سعوديين) فيؤموننا في الصلاة ، ثم يلقون علينا بعض الدروس الدينية . وكان بعضهم سهلاً في خطابه فندرك ما يتحدث عنه ، وآخرون كانوا يتكلمون في موضوعات شرعية صعبة فلا نفهم إلا النزر اليسير مما يقولونه. وتاريخ الدعوة في جنوبي البلاد السعودية من عام (١٤٠٥ـ ١٤٣٥هـ / ١٩٨٥ـ٢٠١٤م)، امتداداً للفترة المذكورة في هذا المحور ، وهي حقبة هامة وبخاصة في العشرين سنة الأولى منها (١٤٠٥هـ١٤٢٥هـ/١٩٨٥ـ٢٠٠٤م) ، حيث حدثت في العالم أحداث سياسية وعسكرية جسام ، وكان للدعوة الإسلامية بشكل عام دور كبير في تلك الأحداث ، حبذا أن نرى باحثين جادين منصفين يدرسون تلك الفترة المهمة.

أما المجالس الرياضية والفنون الشعبية ، فهي رحبة الميدان ، فالناس في النماص وأبها عرفوا العديد من الألعاب الرياضية النهارية والليلة ، وهناك بعض الرياضات للرجال ، وأخرى للنساء والأطفال ، وكل لعبة لها قواعدها ونظامها وفرقها الرياضية التي تتراوح بين الواحد إلى الخمسة وربما العشرة ، وفي بعض الأحيان يحضر الجمهور لمشاهدة تلك الألعاب ، وربما مورست بعض الألعاب داخل المنازل أو في أفنيتها أو في الهواء الطلق في القرية أو الجبال أو الأودية وغيرها من الميادين[١] .

عرفت حاضرة أبها ومحافظة النماص بعض الأندية الرياضية مثل: نادي الوديعة في أبها ، ونادي ضمك في خميس مشيط ، ونادي السروات في النماص، وكانت لهذه الأندية نشاطات اجتماعية رياضية جيدة ، فتمارس فيها بعض الرياضات ، مثل: كرة القدم ، وكرة الطائرة ، وكرة اليد ، وكرة السلة ، وغالباً تقام مباريات عديدة يشاهدها لفيف من الناس[٢] .

ومجالس العادات والفنون الشعبة كثيرة ، فكل أسرة أو قرية أو عشيرة لها اجتماعات تسير حياتها ، فالأب والأم يجتمعان بأفراد أسرتهما يومياً من أجل السماع منهم ، والتعاون فيما بينهم بهدف سير رحلة الحياة في كل ما هو مفيد ومثمر[٣]، وأفراد القرية أو العشيرة الواحدة تراهم متقاربون متعاونون في كل ما يخدم حياتهم الاجتماعية والأمنية[٤]، وكان لكل

---

(١) المصدر : مشاهدات الباحث لبعض الرياضات التي مارسها الناس في النماص وأبها خلال العقدين الماضيين من القرن (١٤هـ/٢٠م) . للمزيد انظر غيثان بن جريس ، عسير (١١٠٠ـ١٤٠٠هـ) ، ١٠٨ـ١١٧، للمؤلف نفسه ، القول المكتوب في تاريخ الجنوب ، الجزء السادس ، ص٨٩ ـ ١٥٢ .

(٢) معاصرة الباحث لبعض نشاطات هذه الأندية الرياضية والاجتماعية مثل: المباريات المحلية، والرحلات البرية القريبة ، أو السفر لبعض مناطق جنوبي البلاد السعودية لإقامة مباريات مع نواد أخرى في نجران، والطائف، والباحة، وبيشة، وجازان ، وإقامة بعض المسامرات الاجتماعية الليلية في مدينتي النماص وأبها . تاريخ الرياضة في عسير من عام (١٣٥٠ـ١٤٣٠هـ/١٩٣١ـ٢٠١٠م) موضوع يستحق أن يكون عنواناً لكتاب أو رسالة علمية لدرجة الماجستير أو الدكتوراه .

(٣) هكذا كانت تعيش الأسرة في الماضي ، واليوم شابها الكثير من التفكك والانقسامات ، وأصبح التقارب والترابط القديم صورياً ، بل معدوماً عند بعض الأسر ، وأحياناً تحول التراحم والتقارب إلى تباعد وتشاحن وبغضاء بين أفراد الأسرة الواحدة .

(٤) كانت العشيرة قديماً تتولى مسؤولية كبيرة لحماية بلادها وأفرادها من أي خطر يهددها ، وعندما أنشئت المؤسسات الحكومية الإدارية مثل : المحاكم ، والشرطة ، والإمارات خفت مسؤوليات القبائل والعشائر ، وصارت الإدارات الحكومية تتولى حفظ الأمن في الأوطان ، مع أنه مازال عند كل عشيرة نائباً أو شيخاً ، لكن مسؤوليات الشيوخ وهيمنتهم تلاشت كثيراً عما كانوا عليه في العقود الوسطى من القرن (١٤هـ/٢٠م) . يوجد عند الباحث مئات الوثائق التي تعكس سطوة وهيمنة الشيوخ ، كما أنه عاصر نفوذ بعض الشيوخ في ثمانينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) ، بل شاهد وعرف التطور التاريخي لمشايخ القبائل في منطقة عسير منذ عام (١٣٨٠ـ١٤٣٥هـ/١٩٦٠ـ ٢٠١٤م).

قرية نائب ولكل عشيرة عريف أو شيخ ، ودور كل واحد منهم جمع أفراد قريته أو عشيرته والتشاور معهم في كل ما هو صالح ومفيد لهم [١].

وقد عرفت مجتمعات النماص وأبها الكثير من الرقصات والفنون الشعبية مثل: العرضة ، واللعب وأهازيج وأغان (فلكلورات) متنوعة ، وجميع هذه الفنون لها أنظمتها وتقاليدها الخاصة ، ويمارسها الكثير من النساء والرجال ، والشباب والفتيات[٢]،كما أن لها أوقات ومناسبات خاصة بها مثل: أيام الأعياد ، أو الزواجات ،

---

(١) دراسة تاريخ نواب وشيوخ القبائل في جنوب السعودية خلال القرن (١٣هـ/١٩م) أو القرن (١٤هـ/٢٠م) وما قاموا به من أدوار تاريخية وحضارية لأنفسهم ولبلادهم ، موضوعات تستحق أن تكون عناوين لكتب أو رسائل علمية أكاديمية، نرجو من أقسام التاريخ في الجامعات السعودية أن تلتفت إلى مثل هذه العناوين الجديدة في أبوابها .

(٢) شاهد الباحث أنواعاً عديدة من هذه الفنون في مجتمع النماص وأبها ، وكان الناس فرحين سعداء بأداء تلك الفنون ، وأهل البلاد من الرجال والنساء ، كباراً وصغاراً ، هم الذين يمارسونها في مناسباتهم المختلفة ، وكانت بعض تلك الفنون تمارس في الهواء الطلق ، ومؤخراً أنشئت صالات تجارية تؤجر على من يريد إقامة مناسبة اجتماعية وممارسة بعض الفنون الشعبية . للمزيد عن تاريخ الفنون الشعبية في منطقة عسير ، انظر: ابن جريس . عسير (١١٠٠ـ١٤٠٠هـ) ، ص٧٤ ، ١٠٨ ، للمؤلف نفسه ، القول المكتوب في تاريخ الجنوب ، الجزء السادس ، ص ١٣٧ وما بعدها .

والمآتم ، والختان [١]، واستقبال الضيوف ، وتوديع الحاج أو المسافر أو استقباله ، والسمر في الليل[٢] .

---

(١) يجد الدارس لتاريخ المآتم والختان في منطقة عسير ، بل عموم جنوبي البلاد السعودية منذ القرن العاشر الهجري إلى وقتنا الحاضر تطوراً وتغيراً ، ففي الماضي حتى العقود الأخيرة من القرن (١٤هـ/٢٠م) كان هناك مبالغة وعنف ، فعند ممارسة عادة الختان ، تسلخ معظم عانة المختون عند ختنه ، ثم تقام في بيت أهل المختون ولائم تستمر أياماً عديدة ، وعند موت الميت يجور أهل قريته أو عشيرته على أهله فيمكثون للعزاء في منزله عدة أيام آكلين شاربين على نفقة أهل المتوفى ، ومنذ نهاية القرن الهجري الماضي بدأت هاتان العادتان تتلاشى وتحارب حتى انتهت . للمزيد عن تاريخ الختان والمآتم في عسير، انظر : ابن جريس ، عسير (١١٠٠ـ١٤٠٠هـ) ، ص ٨٥ـ٩٠ .

(٢) من الصعب حصر كل المجالس الاجتماعية التي عاشها سكان النماص وأبها في العقود الأخيرة من القرن (١٤هـ/٢٠م) ، وذلك لتعددها وتنوع فئاتها وأوقاتها ، لكنها جديرة بالبحث والدراسة ، وذلك لأسباب عديدة ، من أهمها :

أ - بدء تحسن أحوال الناس أمنياً وإدارياً ومالياً وتعليمياً ثقافياً ، ومن ثم فهناك مجالس وأعراف ورثها الناس عن آبائهم وأجدادهم منذ قديم الزمان ، ثم جاءت بدايات عصر الطفرة الحضارية التي نعيشها اليوم فنتج عن ذلك صراع بين القديم والحديث ، ومن ثم ظهر الكثير من التغيرات والتشكلات الاجتماعية المختلفة .

ب ـ نتج عن التطور الحضاري المذكور آنفاً اتساع البيئة الاجتماعية لأهل النماص وأبها ، فبعد أن كانت الأسر ، وأهل القرى محدودين في معارفهم ، وتحركاتهم الجغرافية ، بدؤوا يخرجون من محيطهم القديم المحدود إلى بيئات اجتماعية حضارية أرحب وأوسع .

ج ـ دراسة النصف الثاني من القرن (١٤هـ/٢٠م) وبخاصة العقود الخمسة الأخيرة مهمة جداً جداً وبخاصة للباحثين والمخططين والتربويين ورجال الحكم والسياسة وغيرهم والذين يتطلعون إلى معرفة التاريخ الحقيقي الذي وصلت إليه التنمية في المملكة العربية السعودية في وقتنا الحاضر ، ثم مقارنة مجتمعات اليوم مع مجتمعات الحقبة المذكورة آنفاً أعلاه ، وكيف تطور الإنسان تعليمياً وثقافياً ، لكنه انحدر اجتماعياً وسلوكياً وأخلاقياً ، والمتأمل الحصيف في تلك المفارقات يستطيع أن يكتشف البون الشاسع في تلك المتغيرات ، ومن ثم قد توجد الحلول المناسبة لعلاج كثير من القضايا والجوانب السلبية

د ـ تاريخ المجتمع السعودي خلال المئة عام الأخيرة باب يستحق جهوداً متضافرة من الجامعات السعودية ، ومراكز البحوث العلمية ، وإذا لم تبادر الحكومة ومؤسساتها السيادية والتعليمية والثقافية بدارسة هذا الميدان ومعرفة مواطن القوة والضعف فيه ، وإيجاد الحلول المناسبة لذلك ، وإلا فإن الوضع سوف يتفاقم ، ثم يخرج الأمر عن السيطرة ، وعندئذ لا أحد أو قوة تستطيع فعل شيء .

د ـ عادات وتقاليد أخرى :

عاش النماصيون والأبهاويون بأعراف وتقاليد عديدة ، فالرجال يجالسون بعضهم البعض في أسفارهم وإقامتهم ، والنساء إلى جانبهم يقومون على خدمة البيت وتربية الأبناء ومساعدة الرجال على مهنهم الاجتماعية والاقتصادية المختلفة وغيرها [١]، وحياة أهل النماص قريبة جداً من حياة البوادي والأرياف، بعكس مدينة أبها التي كان سكانها أكثر تمدناً ، فهم يعملون في الوظائف الحكومية والتجارة ، وبينهم من عاش حياة أهل النماص البسيطة[٢] .

والفاحص لعادات الناس في اليوم الواحد ، أو في بعض المناسبات الاجتماعية مثل: الختان ، والزواج ، وبناء البيوت، وحفر الآبار ، أو في علاقة الفرد بالآخر ، أو الأسرة بالأخرى ، أو سكان القرية أو الحي أو العشيرة بأخرى ، تجدها بسيطة في إمكاناتها ، سهلة

---

(١) كان التعاون والتكاتف بين أفراد المجتمع العسيري من الصفات الغالبة عليهم ، فتراهم متحابين متآزرين في ممارسة مهنهم المختلفة ، نعم إن حياة القبيلة هي إلى حد ما الطاغية على حياة الناس ، ومع ما ينتاب تلك الحياة من التناحر والصدامات العشائرية ، إلا أن أفراد العشيرة الواحدة متلاحمة متكاتفة ، بخلاف أفراد العشائر أو القبائل المتجاورة في أنسابها ومواقعها الجغرافية. للاطلاع على بعض أعراف وعادات منطقة عسير انظر: ابن جريس : عسير (١١٠٠ــ١٤٠٠هـ)، ص ٧٤ــ ١٠١ .

(٢) كانت حياتنا في النماص تتمثل في رعي الأغنام ، وجمع الحطب ، والتقاط الثمار من الأشجار البرية أو من بعض الحقول والبساتين، ونحمل مياه الشرب والغسيل على ظهورنا من الآبار القريبة من منازلنا ، وأحياناً كنا نستخدم الحمير في نقلها ، ولقد عشنا حياة الفاقة ، فلم يكن عندنا زيادة في أنواع الأطعمة فأطعمتنا خبز البر (الحنطة) إذا توفر ، والشعير ، والذرة وأحياناً اللحوم وبخاصة في عيد الأضحى ، ومشروبنا الشاهي والقهوة . وجميع سكان المحافظة مثلنا ، وكان بينهم بعض الأسر ميسورة الحال فأطعمتهم متعددة إلى حد ما في أنواعها وطهيها وأشكالها ، وكنا نعمل طول النهار إلى المغرب ثم نصلي العشاء وننام مبكراً، وليس لدينا وفرة في اللباس ، فأغلب السكان لدى الواحد منهم لباس واحد يلبسه في النهار ويخلعه في الليل ، وهناك من عنده لبستان واحدة عادية في كل الأوقات ، والأخرى وقت المناسبات مثل: الذهاب إلى المدرسة ، أو حضور زواج، أو زيارة قريب ، أو حضور مناسبة اجتماعية عامة ، وعند وصولنا إلى أبها بدأت أحوال الناس المعيشية في أبها ومدينة النماص تتحسن ، أما بوادي وأرياف هذه النواحي فمازالت متدنية ، ومع بداية هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) بدأت أحوال الناس تتطور بشكل جيد .

في جميع طرقها وآلياتها[١]. ولو قارنا الريف والبادية مع حياة أهل المدينة وجدنا البساطة ـــ بشكل كبير ـــ ديدن الصنف الأول ، أما أهل المدينة فحياتهم أسهل وأيسر لوفرة مطالبهم إلى حد ما ، مع وجود طرق برية تربطهم مع غيرهم من أهل بلادهم أو من جيرانهم من المناطق الأخرى [٢].

٥ـ اقتصاديات أهل النماص وأبها :

مارس معظم النماصيين وبعض الأبهاويين حرف الجمع والالتقاط ، والصيد والرعي[٣]، وقد لاحظت سكان النماص يجمعون الحطب من الأودية والجبال ليستخدموها في التدفئة وطهي الطعام ، وجمعوا حبوب وثمار مزارعهم وبساتينهم ليقتاتوا منها وبيع ما فاض في أسواقهم ودكاكينهم التجارية ، ومنهم من مارس صيد الطيور والحمام والغزلان ، وقد شاهدت عند بعضهم طرقاً وحيلاً لاصطياد صيدهم[٤]، وعند وصولنا إلى أبها لم أشاهد في

---

(١) نعم منازل متواضعة ، وأثاثها بسيط ، ومواصلات بدائية ، وأطعمة وأشربة يسيرة ، وأمية منتشرة بين الناس . ومع هذا كله كان هناك فئات قليلة وبخاصة من أهل المدينة في النماص وأبها يعيشون في حالة لا بأس بها . لمزيد من التفصيلات عن الحياة الاجتماعية في منطقة عسير انظر: ابن جريس ، (عسير ١١٠٠ـــ١٤٠٠هـــ) ، ص ٣٣ـــ ١١٩ .

(٢) وصلنا أبها عام (١٣٩٦هـــ/١٩٧٦م) ، فوجدناها تعيش وضع أحسن من محافظة النماص ، وكيف لا تكون أفضل وهي حاضرة منطقة عسير ، بل المركز التاريخي الحضاري في جنوبي البلاد السعودية منذ النصف الأول من القرن (١٣هـــ/١٩م) ، وكون هذه المدينة هي المقر الرئيس لبلاد عسير وما جاورها ، فالحياة فيها أسهل في شتى الميادين مقارنة بغيرها من مدن وحواضر هذا الجنوب السعودي ، حيث شقت فيها الطرق وأنشئت بها مؤسسات حكومية رئيسة لعموم منطقة الجنوب ، وبدأ فيها التعليم العالي ، والمطار المدني ، وبدأت تنمو بهجرة سكان الأرياف إليها . للمزيد عن تاريخ أبها انظر: ابن جريس ، أبها حاضرة عسير ، ص١٣ وما بعدها ، وللمؤلف نفسه انظر : " أبها مدينة المستقبل " بحث منشور في كتاب : بحوث في تاريخ عسير الحديث والمعاصر ، ١٤٢٣هـــ/٢٠٠٢م) ص١٥ـــ٣٢ .

(٣) لمزيد من التفصيلات عن هذه المهن في منطقة عسير خلال أربعة قرون انظر،ابن جريس ، عسير (١١٠٠ـــ١٤٠٠ هـــ)، ص ١٢٦ـــ١٢٧ .

(٤) مثل حفر بعض الخنادق التي تسقط فيها الفريسة ليسهل اصطيادها ، وكان لدى بعضهم أدوات بدائية يقوم بصنعها لممارسة الصيد ، بالإضافة إلى استخدام بعض الأسلحة النارية . وغالباً يستهلك الصيادون ما يصيدون فلا يبيعونها أو يتاجرون فيها . مهنة الصيد قديمة عند العرب ، وقد كتب عنها بعض المؤرخين والباحثين المتقدمين والمتأخرين ، انظر ابن جريس ، عسير (١١٠٠ـــ١٤٠٠هـــ) ، ص ١٢٦ـــ ١٢٧ .

المدينة من مارس تلك المهن ، وعند زيارتنا سوقي الثلاثاء في أبها والخميس في خميس مشيط رأيت الكثير من حزم الحطب، والفحم، وبعض الثمار المجموعة من البوادي والأرياف ، بل رأيت من كان يبيع مساويك العتم والأراك في السوق وعند أبواب المساجد ، ولا تخلو تلك الأسواق من بعض الحمام والطيور المصطادة والمعروضة للبيع ، وعند سؤالي عن مواطنها الرئيسة أخبرني أصحابها أنها جلبت من أرياف قبائل عسير الأربع ومن بوادي وجبال قحطان وشهران القريبة من حاضرة أبها [١].

ومهنة الرعي من الحرف الرئيسة التي مارسها سكان أبها والنماص ، ففي مدينة أبها لاحظت رعاة قليلون جداً يرعون بهائم محدودة العدد في أجزاء من المدينة، وعندما خرجنا إلى ضواحي وأرياف الحاضرة شاهدنا أعداداً كثيرة من الأغنام والماعز وبعض الأبقار والحمير[٢] ، ولو ذهبت إلى الأسواق الأسبوعية لرأيت أعداداً كثيرة من هذا البهائم وبعض الجمال المعروضة للبيع والشراء [٣]. أما مهنة الرعي في حاضرة النماص فقد مارستها مع بعض أفراد أسرتي وأسر أخرى كثيرة ، وينقسم الرعاة في المحافظة النماصية إلى فئات رئيسة نذكرهم على النحو التالي :

أ ■ قرى النماص السروية أصحاب زراعة ، إلا أنهم يمتلكون المئات من الأغنام والماعز وبعض الحمير والأبقار والجمال ، ومن ثم كانوا يرعونها في جبال ووهاد وأودية هذه الأجزاء السروية ، وعند اشتداد البرد يترلون بها إلى منطقة الأصدار التي يمتلكون فيها بيوتاً وغرفاً صغيرة تسمى (الحِلال: ومفردها حِلة أو محلة) يقطنونها في أثناء نزولهم إليها [٤].

---

(١) المصدر: مشاهدات الباحث وما سمعه من بعض الأبهاويين أو العسيريين في العقد التاسع من القرن (١٤هـ/٢٠م).

(٢) كان في تسعينيات القرن الهجري الماضي الكثير من الحمير المستخدمة في خدمة الناس ، وفي العقد الأول من هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) تزايدت أعداد السيارات في أيدي الناس ، وتخلى بعض الناس في عموم منطقة عسير عن حميرهم وتركوها تهيم في الطرقات مما نتج عن ذلك موت الكثير منها دهساً بالسيارات ، ولم يأت العقد الثاني من القرن نفسه إلا وقد انقرضت أو أصبحت شبه معدومة . مشاهدات الباحث خلال العقود الآنف ذكرها أعلاه .

(٣) المصدر: مشاهدات الباحث وانطباعاته خلال العقدين الأخيرين من القرن (١٤هـ/٢٠م) .

(٤) يقطن بلدة النماص الرئيسة بعض الأسر والبطون من قبيلتي الكلاثمة وبني بكر ، ويحيط بها عشائر أخرى مثل بني جبير من الشمال وبني قشير من الشرق وبني مشهور وكنانة من الجنوب ، وقمم السراة من الغرب. وجميع هذه القبائل مارست الرعي ولها بواد في الشرق ومواطن استيطان (حلال) في الأصدار . مشاهدات الباحث وانطباعاته.

ب ■ أهل البادية في شرق قرى النماص السروية يرعون بهائهم في بواديهم بعض الوقت ، وعندما تخضر النواحي السروية يصعدون إليها بآلاف الأغنام والجمال ، ويمكثون بها بعض الوقت، وأحياناً تقع صدامات بين رعاة البادية وبين المزارعين والرعاة من أهل السراة ، وبخاصة إذا وقع بعض الخراب من بهائم البدو على مزارع أهل السراة [١].

ج ■ كان هناك بعض التعاون بين أهل السراة والبادية فيرسل بعض السرويين أغنامهم إلى أهل البوادي ليرعوها لهم ، ومن ثم يحصلون على أجرهم منها[٢]،كما أن أهل السراة يرسلون بعض أبقارهم وجمالهم إلى منطقة الأصدار لعدة شهور دون راع ، ويراقبون مواطنها وسلامتها في فترات متباعدة [٣].

د ■ خلال ثمانينيات القرن الهجري الماضي وربماحتى بداية العقد التاسع لم نلاحظ أغنام أو بهائم وافدة من مناطق بعيدة داخل المملكة العربية السعودية أو خارجها، وهناك وفرة كبيرة في الثروات الحيوانية المحلية، التي كان يُصدر بعضها إلى أسواق الحجاز وغيرها[٤].

تعد الزراعة أهم المهن التي مارسها سكان حاضرة أبها ومحافظة النماص [٥] ، ولن نفصل الحديث في هذا الباب ، لأننا أشرنا إليه في أكثر من دراسة[٦] ، ولكن سوف ندون في السطور التالية بعض انطباعاتنا ومشاهداتنا وهي على النحو التالي:

---

(١) عاصر الباحث العديد من هذه الاختلافات والاعتداءات ، وأحياناً يتدخل شيوخ وأعيان القبائل لحل مثل هذه المشاكل ، كما يوجد لدى الباحث بعض الوثائق التي تؤكد ما أشار إليه .

(٢) عرف الباحث عدداً من الأسر السروية النماصية التي أرسلت أغنامها إلى بعض البدو شرق حاضرة النماص ، وكانت الزيارات متبادلة بين أفراد تلك الأسر البدوية والسروية .

(٣) هذا ما شاهده الباحث وعرفه .

(٤) مناطق السروات غنية بثرواتها الحيوانية منذ عصر ما قبل الإسلام ، وعبر عصور الإسلام المختلفة ، وقد أشار بعض الرحالة المسلمين الأوائل إلى مشاهدتهم وفرة الأغنام السروية في أسواق مكة المكرمة ، كما أن بعض آبائنا أخبرونا بامتهانهم تجارة الأغنام، وكانت أسواق الحجاز وموانئ البحر الأحمر الشرقية هي المسوق الرئيس لأكثر أغنامهم وبهائمهم.

(٥) عندما أقول حاضرة أبها ، فأقصد بذلك أبها الحضارية الممتدة إلى شعار والسودة والفرعاء (القرعاء) وأحد رفيدة وخميس مشيط . ومحافظة النماص ، أي عموم بلاد بني شهر وبني عمرو وبخاصة الأجزاء السروية ، للمزيد عن أبها والنماص انظر ابن جريس ، أبها حاضرة عسير ، ص١٢ وما بعدها وللمؤلف نفسه ، بلاد بني شهر وبني عمرو خلال القرنين (١٣ــ١٤هـ/١٩ــ٢٠م) ، الطبعتان الثانية والثالثة ، ص١٥ وما بعدها .

(٦) ابن جريس ، أبها حاضرة عسير ، ص ١٨١ ــ ١٩٤ ، للمؤلف نفسه ، عسير (١١٠٠ــ١٤٠٠هـ) ، ص١٢٩ ــ ١٤٦ .

أ ■ كان أهل النماص وأبها يعتمدون اعتماداً كبيراً على منتوجاتهم الزراعية ، فمنها يعيشون ويبيعون ، وكثير من حيواناتهم الأليفة تقتات على ما ينتج من الأرض، والمتأمل في الطبيعة الجغرافية لحاضرة أبها ومحافظة النماص، ثم الباحث في الوثائق التاريخية الزراعية مثل: حجج الاستحكام ، والأحمية العامة والخاصة ، ومقادير الزكاة التي تجبى عن أراضي هذه النواحي ، وبعض صكوك الأوقاف الشرعية يجد أنه أمام أراضٍ زراعية كثيرة[١]، وكل أسرة أو قرية أو عشيرة تمتلك الأراضي الخاصة بها ، فتقوم على حرثها وزراعتها وخدمة محاصيلها الزراعية [٢] .

ب ■ أهم المحاصيل الزراعية لأهل النماص وأبها : الذرة ، والشعير ، والقمح ، والعدس ، والدجر ، وبعض الخضروات والفواكه الأخرى مثل: الطماطم ، والبصل ، والثوم ، والتفاح ، واللوز ، والفركس ، والعنب ، والخوخ ، كما زرعوا خضروات أخرى مثل: الجزر ، والفاصوليا ، والبامية ، والكوسة ، والخيار ، والخس ، والجرجير ، والنعناع ، والبقدونس . وعرفوا زراعة بعض النباتات العطرية مثل : الكادي ، والريحان ، والشيح[٣]، والبعيثران ، والشذاب ، وتسقى جميع هذه المزروعات من الأمطار ، أو من الآبار ، أو من الجداول والعيون القريبة من بعض المزروعات [٤] ، وأهل البلاد أنفسهم هم الذين كانوا يقومون على خدمة مزارعهم ، وربما وجد عند المقتدرين منهم بعض العبيد أو الخدم الذين يساعدونهم على حراثة وري المزارع[٥]، وكانت

---

(١) عاش الباحث في هذه البلاد ، وشاهد معظم بلاد تهامة والسراة منذ أكثر من خمسة عقود ، وفي حوزته مئات الوثائق الزراعية التي تؤرخ لهذه البلاد منذ أربعة قرون حتى الآن ، ويؤكد أن دراسة التاريخ الزراعي التهامي والسروي موضوع كبير ويستحق أن يخرج عنه عشرات الدراسات العلمية الأكاديمية .

(٢) جميع الأراضي الزراعية في أبها والنماص وماجاورها من الأملاك الخاصة التي تعود ملكيتها لأفراد وأسر وبطون وعشائر محددة ، كما أن هناك أراضي عامة (مشاعة) لكل قرية أو عشيرة ، وهذه الأراضي بمثابة أحمية ومواطن رعي لأغنامهم وبهائمهم .

(٣) هذه نماذج من المزروعات التي عرفها الأبهاويون والنماصيون ، ودراسة جميع المزروعات منذ زراعتها إلى حصادها واستهلاكها أو خزنها موضوع يستحق البحث والدراسة العلمية الموثقة .

(٤) الأراضي التي تسقى بماء السماء ، أو من الآبار والعيون ، وطريقة الري ، والقائمين عليه ، والآليات المستخدمة في الري، موضوعات جديدة في أبوابها وتحتاج إلى دراسات علمية أكاديمية أعمق وأشمل .

(٥) كان العبيد قليلون جداً في الثمانينيات وربما غير موجودين في التسعينيات ، لكن هناك الكثير من الخدم والأجراء الذين يعملون مع بعض المزارعين من أجل الاقتيات من ذلك ، وكانت أجرة أولئك العمال عينية ، أي من المحاصيل الزراعية التي يعلمون فيها .

هذه الحياة الزراعية ديدن أهل أبها والنماص خلال العقد الثامن من القرن (١٤هـ/٢٠م) ، ومنذ نهاية هذا العقد وبداية العقد التاسع بدأ الناس يتقاعسون عن ممارسة الزراعة ، وينخرطون في أعمال أخرى مثل: التعليم ، والعمل في الوظائف الحكومية (العسكرية والمدنية) ، وعند توفر المال في أيدي بعضهم سعوا إلى التوسع في منازلهم ومرافقها فاقتطعوا بعض أراضيهم الزراعية والرعوية وجرفوها وأصلحوها لتكون مكاناً لمنازلهم [١] .

ج ■ شاهدنا المزروعات بجميع أنواعها تغطي البلاد الممتدة من النماص إلى أبها وخميس مشيط وأحد رفيدة في الثمانينيات والسنوات الأولى من تسعينيات القرن الهجري الماضي ، وفي نهاية القرن نفسه وبداية هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) تحولت أراضٍ زراعية كثيرة إلى مخططات سكنية ، وأصبح اهتمام الناس بالزراعة والمهن الزراعية في مرتبة متأخرة[٢] .

د ■ من يقارن وضع الزراعة في العشرين سنة الأخيرة من القرن الهجري الماضي ، والثلاثين سنة الأولى من هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) يجد أن مكانتها عند الناس قديماً جيدة لأنهم كانوا في حاجة ماسة إليها ، وبعد النمو والتطور الاقتصادي الذي مرت به البلاد منذ عام (١٤٠٠هـ/١٩٨٠م) إلى الآن صارت الزراعة وغيرها من المهن القديمة والمهملة تماماً [٣] .

مارس أهل النماص وأبها كثيراً من الصناعات التقليدية والحرف اليدوية ، فالناظر في مهن الناس العامة مثل: الصيد والرعي ، والزراعة ، والتجارة ، وكثير من أعمالهم الاجتماعية وحرفهم اليدوية ، والذاهب إلى أسواقهم الأسبوعية واليومية يلحظ وفرة

---

(١) تاريخ تدهور الزارعة والأراضي الزراعية في المملكة العربية السعودية منذ ثمانينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) إلى نهاية العقد الثاني من هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) موضوع جدير بأن يكون عنواناً لأكثر من كتاب أو دراسة علمية أكاديمية.

(٢) التطور العمراني الذي عاشته ومازالت تعيشه البلاد منذ تسعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) أثر سلباً وبنسبة كبيرة جداً على التربة الزراعية ، وعلى الغطاء النباتي ، وعلى مصادر المياه ، بل إن التراث الحضاري الزراعي الذي عاشه الآباء والأجداد تلاشى وضاع ، وأصبح الإنسان اليوم ، وبخاصة جيل الشباب ، يجهلون الصورة الحضارية الزراعية الجميلة التي عاشها الأوائل ومارسوها ، بل كانت من أكثر وأنشط مهنهم الاقتصادية . تاريخ الزراعة في منطقة عسير ، أو جازان ، أو نجران ، أو الباحة ، أو القنفذة ومنطقة الساحل موضوعات جديدة في أبوابها ونرجو من طلاب الدراسات العليا في أقسام التاريخ بالمملكة العربية السعودية أن يتخذوا منها عناوين لرسائلهم العلمية .

(٣) نلاحظ أن وزارة الزراعة وبنوك الزراعة وهيئات الزراعة تشرف وتصدر القرارات وتدعم المزارعين ، إلا أن السكان أنفسهم استبدلوا الزراعة بغيرها مثل: الوظائف ، والتجارة . وإذا نظرنا إلى الأراضي الزراعية لعامة الناس في منطقة عسير أو المملكة نجد أنه حل بها الخراب والإهمال ، بل إن بعض الملاك لكثير من الأراضي الزراعية لا يتورعون عن عرضها للبيع وبيعها ، مع أن ذلك كان من العيب ومن المستحيلات عند آبائهم وأجدادهم في نهاية القرن الهجري الماضي (١٤هـ/٢٠م) .

المصنوعات المعدنية والحديدية ، والفخارية والطينية والحجرية ، والجلدية والبلاستيكية ، والنسيج والصباغة والخياطة وغيرها[١]، وحتى لا نخوض في التفاصيل التاريخية لهذا الجانب الحضاري النماصي والأبهاوي ، فإننا نكتفي بذكر بعض الصور لحياة الناس في هذا الميدان ، وهي على النحو التالي :

أ ■ نظرة أهل عسير ، كأبها والنماص وغيرها ، للصناعة والصناع يشوبها عدم الاهتمام ، بل تصل الأمور ببعضهم إلى احتقار وازدراء بعض الصناعات ومن يمارسها[٢]، وهذه عادة سلبية عرفها ومارسها العرب منذ العصر الجاهلي ، واستمرت واشتد تأثيرها في عصر الدولة الأموية (٤٠ــ١٣٢هـ/٦٦٠ــ٧٤٩م) ، ثم استمرت عند العرب في الجزيرة العربية وبعض دول العالم حتى الآن[٣] .

ب ■ شاهدنا في قرى النماص بعض صانعي الحديد والمعادن الأخرى. مثل: صناعة السيوف والخناجر، والأدوات الحديدية المستخدمة في مهن أخرى عديدة ،كما كان هناك صاغة فضة

---

(١) لمزيد من التفصيلات عن هذه الجزئيات انظر ابن جريس ، عسير (١١٠٠ــ١٤٠٠هـ) ، ص١٤٧ ــ ١٦٢ .

(٢) المرجع نفسه . ص١٦٢ . من خلال تجوالي في محافظة النماص وحاضرة أبها ، وفي عموم بلاد تهامة والسراة وجدت تبايناً في نظرة الناس للصناعات والحرف اليدوية ، ففي النماص مثلاً والباحة وما جاورها نجد هناك من يمارس مهنة النجارة أو الخرازة ، ولا ينظر إليه بدونية ومن يمارسها يعد من علية القوم في بلاده وبخاصة في باب النسب والمصاهرة ، وهذه المهن نفسها في أبها أو بلاد قحطان وشهران محتقرة وينظر لمن يمارسها نظرة ازدراء ، وقس على ذلك المهن والحرف الأخرى. أما الذين كانوا يمارسون صناعة الحديد والفضة والذهب ، وربما الجزارة فينظر إليهم في كل مكان أنهم من الدرجة الثانية فلا يزوجون أو يتزوجون إلا من أهلهم وقرابتهم . دراسة جذور وتاريخ وآثار وتأثير هذا الموضوع خلال عصور الإسلام المختلفة موضوع يستحق أن يخرج عنه عشرات الدراسات العلمية الأكاديمية .

(٣) كتب التراث والتاريخ الإسلامي مليئة بالروايات والقصص التاريخية التي تدور حول الصناعة والحرف اليدوية وأنفة العربي منها ، ونظرة المجتمع إليها ، كما أنني سافرت إلى بلدان عربية عديدة وبعض البلدان الإسلامية ودول شرقية وغربية فوجدت بعض الأجناس البشرية ينظرون إلى مهنة الصناعة نظرة احتقار كالعرب وبخاصة في قضية الزواج والمصاهرة ، وعندما سألت بعض أولئك وبخاصة في بعض البلدان الشرقية والغربية وجدتهم يقولون هذا ما تعلمناه من آبائنا وأجدادنا ، ولا يعرفون ما هو السبب ، مع أنهم يعيشون في بلدان صناعية متقدمة ، ولا ندري ما هي الأسباب التي جعلت مثل هذه العادات تعبر القارات ، لكن لا يستبعد أن ذلك ناتج عن تبادل الثقافات على مر التاريخ ، أو أن للعرب تأثيراً في مثل تلك الأجناس التي أصلها غير عربي ولا إسلامي .

وذهب ، وهؤلاء يصنعون بعض الحلي وأدوات الزينة المختلفة ، وهناك نجارون ، ونساجون وخياطون ، وصباغون ، ودباغون ، وخرازون، وبناؤون وخبازون وغيرهم ، وعند ذهابنا إلى سوق الثلاثاء الأسبوعي بالنماص ثم سافرنا إلى أبها وزرنا بعض قراها ، وارتدنا سوقها الأسبوعي يوم الثلاثاء ، لاحظنا وجود الحرفيين ، ومن يقارن كثافة وجودهم في النماص وأبها ، يجد أن حاضرة أبها كانت تحتضن أعداداً كثيرة منهم بخلاف النماص التي يوجد بها أعدادٌ قليلة يُعدون على الأصابع[١] .

ج ■ يعمل معظم الحرفيين المذكورين آنفاً في منازلهم ، وربما كان لبعضهم أماكن مخصصة في السوق الأسبوعي، وهناك من امتلك دكاناً في بلدة النماص أو مدينة أبها ليمارس مهنته خلال أيام الأسبوع . وبعض المهن مثل: الخياطة والدباغة ، والخرازة ، والغسيل ، والخبازة ، وأحياناً النسيج والصباغة كانت تمارس من قبل أرباب وربات الأسرة ، ويقتصر إنتاجهم على أفراد أسرهن[٢] .

د ■ منذ أواخر العقد الثامن (ق١٤هـ/٢٠م) ، أصبحت منازل وأسواق الأبهاويين والنماصيين تمتلئ بالأدوات الحرفية والصناعية المختلفة التي تُصنع في بعض الورش أو المصانع الحديثة في منطقة عسير، أو تستورد من الحجاز أو اليمن أو موانئ البحر الأحمر الشرقية أو من بلدان عربية وغير عربية ، ومن ثم بدأت الصناعات التقليدية المحلية تتراجع ، بل لم يأت القرن الحالي (١٥هـ/٢٠م) إلا وبعضها تلاشى من الحواضر الرئيسة ، أو تحولت إلى معروضات في بعض المتاحف الشعبية في نواح عديدة من منطقة عسير وغيرها[٣] .

---

(١) مشاهدات الباحث وانطباعاته في العقدين الثامن والتاسع من القرن (١٤هـ/٢٠م) . وتاريخ الحرف والصناعات في عسير خلال القرنين (١٣هـ/١٩م) و (١٤هـ/٢٠م) موضوعات تستحق أن تكون عناوين لبعض رسائل الماجستير والدكتوراه في بعض برامج الدراسات العليا بأقسام التاريخ في المملكة العربية السعودية .

(٢) كانت أغلب أسر محافظة النماص وحاضرة أبها تعتمد على نفسها في توفير حياة مستقرة لأفرادها ، فتراهم يتعاونون في ممارسة أعمالهم ومهنهم التي تصب في خدمتهم واستمرار حياتهم .

(٣) عندما توسعت التجارة ونشطت ظهرت الورش والمحلات الحرفية والصناعية الحديثة ، وتدهورت الصناعات والحرف التقليدية حتى أصبحت مصنوعاتها غير مستخدمة ، والناظر في عدد من المتاحف الشعبية في منطقة عسير يجد أدوات كثيرة من تلك المصنوعات التراثية القديمة ، وكانت الأيدي العاملة للصناعات والحرف التقليدية محلية ، ثم أصبحت منذ ثلاثة أو أربعة عقود من غير السعوديين الذين وفدوا إلى البلاد من أقطار عربية إسلامية وغير إسلامية .

وتأتي التجارة في مكان جيد للنماصيين والأبهاويين ، وذلك لأسباب عديدة منها :

أ ■ وفرة الأراضي الزراعية التي تصدر بعض منتوجاتها إلى الأسواق الأسبوعية المتفرقة في نواح عديدة من محافظة النماص وحاضرة أبها[١] ، وقد شاهدت سوقي الثلاثاء الشعبي بالنماص وأبها فكانا ممتلئين بالتجارات المحلية المختلفة مثل: الحبوب بأنواعها ، والحيوانات الأليفة ، والمصنوعات الحديدية والجلدية والفخارية، وغيرها من البضائع المحلية المختلفة[٢]، ومعظم التجار والباعة الذين يتاجرون في ذينك السوقين من أهل البلاد أنفسهم، ويشاركهم بعض النساء السعوديات ، ويساعدهم أيدٍ عاملة من بلدان عربية إسلامية عديدة[٣] .

ب ■ لم تقتصر الأسواق الشعبية على التجارات المحلية ، وإنما توفرت فيها بضائع مستوردة من نواح عديدة داخل المملكة العربية السعودية وخارجها[٤]، وإلى جانب الأسواق الأسبوعية وجدت أسواقٌ تجارية متنوعة في حاضرة أبها ومدينة النماص وتعمل طوال النهار [٥]، ووجدت دكاكين صغيرة في بعض القرى ، وكانت مقصورة على أفراد القرية التي توجد فيها مثل تلك الدكاكين ، وربما امتدت خدمتها إلى قرية أو قريتين مجاورتين [٦] .

---

(١) يوجد أسواق أسبوعية عديدة في هاتين الناحيتين ، وقد شاهد الباحث أغلبها ، واندثر معظمها اليوم ، وحل محلها الأسواق اليومية المختلفة .

(٢) هذان السوقان قديمان جداً ، فيعود تاريخهما إلى الوراء مئات السنين ، ومازالا يعملان حتى الآن . حبذا أن يظهر من طلابنا في برنامج الدراسات العليا بقسم التاريخ ، جامعة الملك خالد من يدرس تاريخ هذين السوقين خلال القرنين الماضيين (١٣ــ١٤هـ/١٩ــ٢٠م) .

(٣) مازال لهذين السوقين بعض النشاط التجاري خلال أيام الأسبوع ، ولكن بشكل أقل من السابق ، ومنذ ليلة الإثنين ويوم الثلاثاء من كل أسبوع تنشط التجارة فيهما ، ولكنهما مازالا محدودين مقارنة بوضعهما في نهاية القرن الهجري الماضي . مشاهدات الباحث لهذين السوقين منذ تسعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) .

(٤) شاهدنا العديد من تلك الأسواق في أبها وبلدة النماص ، كما زرنا مدينة خميس مشيط في نهاية القرن الهجري الماضي فكانت أسواقها الأسبوعية واليومية أكثر وأنشط من أسواق أبها والنماص .

(٥) تلك الأسواق اليومية تحوي الكثير من البضائع المستوردة وقليلاً من السلع المحلية. المصدر: مشاهدات الباحث وانطباعاته.

(٦) كان يوجد في قرية والدة الباحث (آل مقبول) دكان في منزل عبد الخالق العمري ، المعروف بـــ (ابن ذريا) . وفي محلة آل رزيق (قرية والد الباحث) يوجد دكانين صغيرين عند محمد بن شربه الشهري ، وحسن بن صوان الشهري ، ومعظم القرى في محافظة النماص وحاضرة أبها عرفت مثل هذه الدكاكين التي تبيع السلع الرئيسة لأفراد القرية مثل: السكر ، والشاهي ، والتمر ، والقهوة ، والهيل ، والصابون ، وبعض الأقمشة وغيرها ، والبعض من ملاك الدكاكين يشاركون ببضائعهم في الأسواق الأسبوعية القريبة من قراهم . المصدر: مشاهدات الباحث وانطباعاته .

ج ■ لم تكن الطرق التجارية جيدة في محافظة النماص، فجميعها ترابية وأحياناً وعرة ، ومنذ بداية السبعينيات في القرن (١٤هـ/٢٠م) بدأ الطريق الترابي الذي يربط بين الطائف وأبها يتحسن ، وذلك عندما وصلت إلى النماص بعض الشركات التي تعمل على سفلتته ، وقد أخذ ذلك سنوات عديدة امتدت إلى نهاية القرن الهجري الماضي (١٤هـ/٢٠م). بل صار الطريق مسفلتاً بكامله في عام (١٣٩٨هـ/١٩٧٨م) [١] ، أما مدينة أبها فكانت أحسن حالاً ، حيث وجد فيها شوارع عديدة داخلية مسفلتة ، ويخرج منها طريق آخر مسفلت إلى كل من خميس مشيط وبعض النواحي القريبة من وسط المدينة[٢] ، أما معظم الطرق التي تخرج من النماص وأبها إلى كل النواحي في منطقة عسير ، أو جنوبي السعودية أو نجد والحجاز فكانت جميعها ترابية [٣] ، وإذا نظرنا في الطرق التي تصل الأجزاء السروية بالتهامية فكانت صعبة جداً ووعرة المسالك [٤]، ومعظم وسائل النقل من الدواب (الجمال والحمير) ، بالإضافة إلى بعض السيارات الكبيرة والصغيرة التي كانت تستخدم في نقل البضائع والحجاج والمسافرين[٥] .

---

(١) طريق الطائف أبها مر بمراحل عديدة منذ سبيعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) إلى الآن ، وكانت طريق الطائف بيشة سهلة إلى حد ما ، لكن الصعوبة تكمن في الطريق الممتد من بيشة إلى النماص ، أما من الطائف إلى النماص عبر بلاد غامد وزهران (الباحة) إلى أبها فقد عاصر الباحث فترة شقه وسفلتته حتى الآن . تاريخ هذه الطريق (الطائف أبها) خلال الثمانين سنة الماضية موضوع جيد ويستحق إلى أن يكون عنواناً لكتاب أو رسالة علمية أكاديمية .

(٢) شاهد الباحث هذا الطريق عام (١٣٩٦هـ/١٩٧٦م) ، وكانت أبها عبارة عن بلدة صغيرة متواضعة في طرقها ووسائل مواصلاتها ، والناظر إليها اليوم يجدها أصبحت مدينة عامرة بأسواقها وطرقها المعبدة التي تربطها مع غيرها من نواحٍ وقرى منطقة عسير ، أو مدن وحواضر المملكة العربية السعودية .

(٣) المصدر : معاصرة الباحث ومشاهدته لبعض تلك الطرق .

(٤) سلك الباحث بعض العقبات التي تربط ديار النماص السروية ببلاد المجاردة في تهامة خلال الثمانينيات من القرن الهجري الماضي ، فكانت وعرة صعبة ، ولا يرتادها أحد إلا مع الدواب ومشي على الأقدام ، واليوم امتدت شبكات الطرق المسفلتة التي تربط السروات بالأجزاء التهامية من حدود الطائف حتى بلاد ظهران ونجران . المصدر : مشاهدات الباحث لعدد من العقبات المسفلتة الممتدة من الباحة شمالاً إلى ظهران الجنوب جنوباً .

(٥) شاهد الباحث بعضاً من تلك السيارات في نهاية القرن الهجري الماضي . كما اطلع على مئات الوثائق التي تشير إلى أسماء مسافرين وحجاج بالسيارة من أبها وخميس مشيط إلى بيشة ثم الحجاز منذ خمسينيات القرن الرابع عشر الهجري (العشرين الميلادي) . تاريخ المواصلات في عسير ، أو جازان ، أو نجران أو الباحة والقنفذة خلال القرنين الماضيين موضوع يستحق إلى أن يصدر عنه عشرات البحوث والدراسات الأكاديمية .

د ■ عرف أهل أبها والنماص الأسعار والأجور المتفاوتة حسب ظروف الحياة السياسية والاقتصادية ، ففي سبعينيات وثمانينيات القرن الهجري الماضي كانت بسيطة ومتواضعة ، فالأراضي الزراعية حسب أنواعها ومساحاتها وأماكنها تتراوح أسعارها من الريال والريالين إلى مئات الريالات ، وربما ارتفع بعضها إلى الآلاف. وفي التسعينيات وبخاصة منذ عام (١٣٩٥هـ/١٩٧٥م) قفزت أسعار الأراضي إلى الآلاف وبعضها وصل خانة الملايين[١]، وجميع السلع الأخرى مثل: الحبوب، والأطعمة الأخرى ، والحيوانات، والأدوات الحديدية والخشبية والأقمشة والألبسة وأدوات الزينة وغيرها ، كانت أيضاً أسعارها محدودة تتراوح بين القروش والريالات القليلة إلى أن جاء منتصف العقد التاسع من القرن (١٤هـ/٢٠م) ، فارتفعت الأسعار حتى إن بعضها أصبح يباع بضعف السعر الذي عرف به خلال العقد الثامن من القرن نفسه[٢].

وكانت الأجور بسيطة منذ عام (١٣٧٠ـ١٣٨٠هـ/١٩٥٠ـ ١٩٦٠م) ، فأجرة اليد للبناء ، أو الصائغ ، أو الحداد ، أو النجار ، أو الدباغ ، أو حمل الأغراض على الدواب ، أو السقاء ، أو أي عامل يعمل في مهنة زراعية أو رعوية أو حرفية صناعية أو تجارية كانت بسيطة فلا تتجاوز الريالات المعدودة مثل العشرة والعشرين إلى مئة ريال ، وأجرة الدكاكين ، ونقل البضائع على بعض السيارات ، أو أجرة المسافرين من النماص أو أبها إلى بيشة أو الطائف ومكة المكرمة وغيرها ، كل ذلك كان محدوداً وبسيطاً ، ومنذ عام (١٣٩٥هـ/١٩٧٥م) ارتفعت الأجور بنسبة الضعف وأحياناً إلى الضعفين[٣].

---

(١) لمزيد من التفصيلات عن الأسعار في منطقة عسير خلال القرون الماضية المتأخرة انظر، غيثان بن جريس . عسير(١١٠٠ـ١٤٠٠هـ) ، ص ١٧٥ـ١٨١. والسبب في ارتفاع الأسعار منذ عام (١٣٩٥هـ/١٩٧٥م) ، لأن حكومة المملكة العربية السعودية في عهد الملك خالد بن عبد العزيز آل سعود (١٣٩٥ـ١٤٠٢هـ / ١٩٧٥ـ١٩٨٢م) زادت رواتب وأجور موظفي الدولة ، بالإضافة إلى إنشاء صندوق التنمية العقارية الذي يقرض المواطنين لبناء المساكن ، وكل ذلك أدى إلى طفرة مادية واقتصادية ، وفي الوقت نفسه ارتفعت الأسعار والأجور . المصدر : مشاهدات الباحث وانطباعاته .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) هذا ما عاصره الباحث، وهناك مئات الوثائق التي تؤكد ما ذهبنا إليه . ونقول إن النصف الثاني من القرن (١٤هـ/٢٠م) يحتاج إلى دراسات علمية أكاديمية عديدة وذلك لجميع نواحي المملكة العربية السعودية ، لأن هذه الفترة حدث فيها تغيرات وتطورات عديدة وهي جديرة بالبحث والدراسة .

كانت رواتب الموظفين في السبعينيات والثمانينيات لا تتجاوز العشرات والمئات من الريالات ، ويندر جداً الذين تصل رواتبهم إلى الآلاف [١]، ومنذ أواخر الثمانينيات وخلال تسعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) ارتفعت الأجور والرواتب حتى أصبح معظمها بالآلاف ، وذلك حسب الخبرة أو الدرجة العلمية أو الوظيفية[٢].

عرفت العملة السعودية المعدنية عند أهل النماص وأبها ، وكانت مكونة من القرش والقرشين والأربعة قروش ونصف القرش والريال وجميعها مصنوعة من المعدن، وهناك العملة الورقية تتكون من الخمسة والعشرة والخمسين والمئة ريال ، وجميع هذه العملات سعودية ، والعملات الأخرى الأجنبية كانت موجودة في بعض المصارف في مدينة أبها ولكنها محدودة[٣].

أما المقاييس والمكاييل ففي الثمانينيات عرفت الأقة والرطل والدرهم والأوقية ، والأقة قطعة مصنوعة من الحديد ، وعرف منها الأقة الواحدة ، ونصف الأقة ، وربع الأقة ، وربما كانت تصنع خارج مناطق جنوبي البلاد السعودية مثل الحجاز أو الشام ومصر وغيرها، وهذه الأداة تساوي (٤٠٠) درهم ، أو رطلين ونصف ، أو اثنين وثلاثين أوقية ، وتزيد عن وزن الكيلوجرام الواحد في وقتنا الحاضر[٤]، والرطل (١٢) أوقية ، أو ما يقارب (١٢) ريالاً فرانسياً ، ومن أجزائه نصف الرطل ، وربعه، أما الأوقية الواحدة فتساوي (١٢) درهماً ، وجميع هذه الأدوات السابقة تستخدم في وزن السوائل مثل: السمن ، والعطورات ، والبخور

---

(١) هذا ما اطلعنا عليه في بعض الوثائق وعاصرناه في منتصف الثمانينيات من القرن (١٤هـ/٢٠م) ، فالموظف الصغير راتبه آنذاك لا يتجاوز العشرات ، أما المتوسط واحياناً الكبير فرواتبهم في خانة المئات ، وهناك قلة من الموظفين الكبار ارتفعت رواتبهم إلى ألف وألفي ريال وربما أكثر .

(٢) ارتفعت الرواتب في التسعينيات حتى صار معظم الموظفين يستلمون رواتب تتراوح من الألف إلى آلاف عديدة ، وربما بقي هناك موظفون صغار مثل العمال والحراس بقيت رواتبهم في خانة المئات . دراسة تاريخ الرواتب والأجور في عسير، أو جازان، أو نجران ، أو الباحة والقنفذة خلال النصف الثاني من القرن (١٤هـ/٢٠م) موضوعات جديدة وتستحق أن تكون عناوين كتب أو رسائل علمية.

(٣) هذا ما شاهده الباحث منذ عام (١٣٨٧-١٤٠٠هـ/١٩٦٧- ١٩٨٠م) ، ويوجد بعض من هذه العملات في بعض المتاحف الشعبية الموجودة في محافظة النماص وحاضرة أبها .

(٤) المصدر: نبذة مختصرة بتاريخ (١٤١٤/١/١هـ) حول الحياة الاقتصادية في عسير من تدوين الأستاذ أحمد مطاعن الألمعي، الصورة والأصل ضمن الوثائق الخاصة في مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية .

، والتوابل ، وبعض المواد الغذائية الخفيفة كالزعفران ، والبن، والقشر، والهيل ، وغير ذلك من الأطياب الغالية والثمينة[١].

ووحدات الكيل للحبوب وغيرها هي: المد ، والصاع ، والفرق ، والأردب ، والكيلة ، والقدح وغيرها . فالمد يساوي (٣) أقق ،ومفردها (أقة) ، وعرف المد الكامل ، ونصف المد وربعه وثمنه ، وتصنع هذه المكاييل من الخشب ، وتطوق فوهة المد بطوق حديدي يساعد على دقة توافقه مع المقاييس الرسمية المعتمدة . والصاع أكبر من المد ويساوي أربعة أمداد ، وعرف نصف الصاع وربعه وثمنه ، والفرق ويساوي (١٢) كيلة، والكيلة تساوي (٤) أقق ، وهو ماعون أسطواني أو مستطيل الشكل مصنوع من الخشب ومخرم من الخارج بأطر من الحديد ، ومنه نصف الكيلة وربعها وثمنها ، والقدح وحدة تساوي ثمن الكيلة[٢].

وأدوات الوزن والكيل غير موجودة في كل مكان من محافظة النماص وحاضرة أبها ، وإنما أغلب وجودها في الأسواق الكبيرة وعند التجار الكبار ، وربما توفر بعضها كالمد والصاع عند بعض أفراد المجتمع مثل المزارعين والتجار الصغار ، كما عرف البيع بالجملة ، فأحياناً لا تكال ولا توزن السلع التي يراد بيعها ، وإنما توضع على هيئة أكوام ، أو في أكياس كبيرة ، ثم تقدر أسعارها بمجرد النظر وتباع [٣].

ومن أدوات قياس الأراضي الخطوة والقدم ، وهناك بعض المصطلحات التي تطلق على الأراضي الزراعية مثل: الفلق: وهو جزء صغير من القطعة الزراعية الكبيرة . والركيب: أو الشقة : وهي القطعة الزراعية المحدودة بحدود واضحة من جميع أطرافها بصرف النظر عن مساحتها . والزهب: وهو الجزء المحدود بحدود معلومة وملاصقاً لقطعة زراعية أخرى تكون أكبر منه في المساحة وأحسن منه في نوعية التربة . ومن المقاييس أيضاً : الذراع (ذراع اليد) وبخاصة في بعض الأرياف وأسواق البادية . والهنداسة وهي قطعة حديدية رفيعة طولها

---

(١) المصدر نفسه .

(٢) كانت هذه الوحدات معروفة في السابق ومازال بعضها إلى الآن في جميع أسواق المملكة العربية السعودية ، مع أن الكيلوجرام استخدم منذ أواخر القرن الهجري الماضي ، وصار اليوم هو الوحدة الرئيسة المستخدمة في جميع الأسواق الشعبية والحديثة . مشاهدات الباحث وانطباعاته .

(٣) هذا ما شاهده الباحث في سوق الثلاثاء الشعبي بالنماص في أوائل عام (١٣٩٢هـ/١٩٧٢م) . وكذلك في سوقي الثلاثاء بأبها والخميس بخميس مشيط في عامي (٩٧ـ ١٣٩٨هـ/٧٧ـ ١٩٧٨م) .

(٩٠سم). والهنداسة والذراع تستخدم في قياس الألبسة والأقمشة وما شابهها . والقامة ، ويقصد بها قامة الرجل ، وتستخدم في قياس الارتفاعات أو عمق الآبار[١] .

٦ـ التعليم والثقافة في النماص وأبها :

توفرت مراحل التعليم العام (الابتدائية والمتوسطة ، والثانوية) في حاضرتي النماص وأبها خلال العقود الماضية المتأخرة من القرن (١٤هـ/٢٠م) ، وكانت مرتبطة إدارياً بإدارتي تعليم بيشة وأبها[٢]، ومعظم الأبنية المدرسية وربما جميعها كانت مستأجرة ، وكان المعلمون غير سعوديين ، من دول عربية شقيقة ، وقليل منهم من بلدان إسلامية وغير إسلامية[٣] .

أما التعليم الأهلي والعالي فلم يكن موجوداً خلال السبعينيات والثمانينيات ، وفي التسعينيات وبخاصة في عام (١٣٩٦هـ/١٩٧٦م) افتتحت بعض فروع جامعتي الملك سعود والإمام محمد بن سعود الإسلامية في أبها ، وأنشئت ثلاث كليات هي: كلية التربية (جامعة الملك سعود) ، وكلية الشريعة واللغة العربية سنة (١٣٩٦هـ/١٩٧٦م) ، ثم تفرعت سنة (١٤٠٣هـ/١٩٨٣م) إلى كليتي الشريعة وأصول الدين ، وكلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية التابعة لـ(جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية) [٤]، **والباحث عاصر مسيرة التعليم في النماص ، ونشأة التعليم العالي في أبها ، ومن ثم سيذكر بعض مشاهداته وانطباعاته في النقاط التالية:**

---

(١) جميع هذه الأدوات القياسية عرفها النماصيون والأبهاويون واستخدموها ، ومازال بعضها معروفاً عندهم أو محفوظة في بعض المتاحف الشعبية المحلية . وعندما عرفت مقاسات المتر والكيلومتر منذ أواخر الثمانينيات استبدلت بالمقاييس القديمة حتى أصبحت هي المعروفة والسائدة في وقتنا الحالي .

(٢) تعليم النماص للبنين يتبع إدارة تعليم بيشة حتى افتتحت إدارة تعليم النماص في عام (١٤٠٠هـ/١٩٨٠م) .وإدارة تعليم أبها (عسير) كانت المسؤولة عن معظم مدارس سروات عسير من بلاد بللسمر شمالاً إلى ظهران ووادعة جنوباً. إما تعليم بنات عسير ومقر إدارتها في أبها فكانت هي المشرفة على تعليم منطقة عسير حتى نهاية القرن الهجري الماضي وجزء من هذا القرن.خبرة الباحث ومعاصرته لأحداث التعليم في بلاد عسير.

(٣) المصدر نفسه .

(٤) لمزيد من الاطلاع على التعليم العام والعالي في منطقة عسير ، انظر: كتب ابن جريس . (١) أبها حاضرة عسير (دراسة وثائقية) . (٢) تاريخ التعليم في منطقة عسير (١٣٥٤ــ ١٣٨٦هـ) . الجزء الأول . (٣) تاريخ التعليم العام والعالي في منطقة عسير (١٤٠٢ــ١٤٢٣هـ) .

أ ■ تركز التعليم العام في بلدة النماص (ابتدائي ومتوسط ، وثانوي ، ومعهد المعلمين والمعلمات) ، ومن ثم فأغلب القرى المجاورة للحاضرة النماصية كانوا يرسلون أبناؤهم وفيما بعد بناتهم للدراسة في مدارس النماص ولا تخلو الأماكن البعيدة عن قرية النماص مثل بلدة تنومة ، وأجزاء من بلاد بني عمرو من مدارس ابتدائية وبخاصة للأولاد ثم البنات مؤخراً [١].

أما التعليم العام في أبها ، فلم نعاصره حتى وصلنا إلى أبها عام (١٣٩٦هـ/١٩٧٦م) ، وكان وضع التعليم في مدينة أبها أفضل وأكثر تطوراً من غيرها في مدن وحواضر منطقة عسير[٢]، والتعليم بشكل عام حتى عام (١٤٠٠هـ/١٩٨٠م) مازال متواضعاً في إمكاناته المادية والبشرية ، إلا أن المميز في ذلك نوعية المعلم ، فمعلمو ومعلمات النصف الثاني من القرن (١٤هـ/٢٠م) أفضل وأحسن في علمهم وانضباطهم وأخلاقهم وحرصهم على خدمة العملية التعليمية[٣].

وإن تحدثنا عن المناهج في الماضي والحاضر ، والوسائل التعليمية ، والصعوبات التي كانت تواجه معلمي ومعلمات العقود الأخيرة من القرن الهجري الماضي ، فهي أيضاً مختلفة عن وضع المعلمين والمعلمات اليوم . فالحياة في السابق صعبة ، وموارد المعيشة محدودة ، لكن المعلمة والمعلم سابقاً استطاعوا أن يتكيفوا مع واقعهم ويستكملوا ما نقص عليهم في موادهم ومناهجهم بجهودهم الشخصية ومن ثقافاتهم العامة[٤]، وهذا كله يختلف عن وضع المناهج والمعلم اليوم فكل شيء أصبح سهلاً (مادياً وتعليمياً وتربوياً وإدارياً) ، لكن التعليم ونوعية

---

(١) كان تجمع المدارس في قرية النماص ، ومنذ أواخر الثمانينيات انتشرت المدارس الابتدائية في أماكن عديدة من بلاد بني شهر وبني عمرو ، أما المدارس الثانوية وأحياناً المتوسطة فمقرها بلدة النماص حتى بداية هذا القرن (١٥هـ/٢٠م). أما تعليم البنات النظامي في عموم منطقة عسير فقد بدأ في أبها عام (١٣٨٠هـ/١٩٦٠م) وبقي يتطور ببطء في أنحاء المنطقة حتى العقد الثاني من القرن الحالي (١٥هـ/٢٠م) .

(٢) لأن مدينة أبها هي عاصمة منطقة عسير ، ولديها إمكانات أفضل من غيرها ، لهذا كانت الأحسن والأجود .

(٣) من يقارن وضع المعلمين في تلك الحقبة مع العقود الثلاثة الماضية يجد أن المعلمين الأوائل كانوا أكثر معاناة وصعوبة في ممارسة أعمالهم، ثم إن إمكاناتهم محدودة وأحياناً شبه معدومة ، لكنهم كانوا أكثر إخلاصاً وتفانياً في أداء مهامهم، بعكس المعلمين المتأخرين الذين توفرت لهم جميع سبل الحياة الكريمة إلا أن الكثير منهم ضعفاء غير مجيدين ولا مخلصين في أداء رسالتهم . إنجاز دراسة مقارنة بين معلمي الماضي والحاضر موضوع يستحق أن يكون عنواناً لكتاب أو رسالة دكتوراه.

(٤) لقد عاصرنا معلمين عرباً من جنسيات (أردنية ، وفلسطينية ، وسورية ، وعراقية ، ومصرية ، وسودانية) فكانوا علماء جهابذة في علومهم وسلوكهم وتوجيهاتهم ، بل البعض منهم كان له فضل كبير علينا فربونا ووجهونا وأخذوا بأيدينا إلى فضائل الأمور. فرحمهم الله جميعاً ، ورحم من كان له فضل علينا نحن معاشر السعوديين (تربوياً وتعليمياً ، وثقافياً ، وأخلاقياً) .

المعلمين والمتعلمين أدنى من الأوائل في تحصيلهم ، وبناء أخلاقهم وسلوكهم ، وأثرهم وتأثيراتهم الإيجابية في أنفسهم ومجتمعاتهم [١].

ب ■ فتح فروع بعض الجامعات السعودية في أبها من القرارات الصائبة ، فلم يبدأ هذا القرن (١٥هـ/ ٢٠م)، إلا ومدينة أبها تحتضن خمس كليات علمية[٢] ، يدرس بها مئات الطلاب ، وخريجو الكليات أسهموا بشكل كبير في التنمية الحضارية التي عاشتها مناطق الجنوب السعودي[٣].

عمل في تلك الكليات العلمية العالية عشرات الأساتذة والدكاترة المتخصصين بعلوم مختلفة ، والمشهود لهم بالشهرة والإبداع في مجالاتهم العلمية[٤]،كما درس في تلك الكليات مئات الطلاب الجيدين الذين صار كثيراً منهم اليوم يشغلون مراكز علمية واجتماعية وإدارية عالية في أنحاء الوطن السعودي[٥].

---

(١) المصدر : معاصرة الباحث للتعليم في الماضي والحاضر منذ عام (١٣٨٠ـ١٤٣٥هـ/١٩٦٠ـ ٢٠١٤م) .

(٢) هي كليتا الشريعة واللغة العربية بفرع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في أبها ، وكليتا التربية والطب بفرع جامعة الملك سعود في أبها ، وكلية المعلمين التابعة لوزارة التربية والتعليم (المعارف سابقاً) . المصدر: مشاهدات الباحث ومعاصرته لنشأة التعليم العالي في أبها .

(٣) الدارس لأحوال ومواطن الطلاب الذين درسوا في تلك الكليات يجدهم من الديار الجنوبية الممتدة من القنفذة والباحة شمالاً إلى جازان ونجران جنوباً ، والمتأمل في قطاعات التعليم والمؤسسات الإدارية الأخرى في هذه النواحي خلال العقود الثلاثة الماضية يجدها مليئة بخريجي تلك الكليات ، ومن ثم فقد أسهموا في بناء المجتمع السعودي الجنوبي تعليمياً وثقافياً وتوعوياً وإدارياً وصحياً واجتماعياً واقتصادياً. وتاريخ التعليم العالي في عسير وأثره الإيجابي على مجتمع جنوبي البلاد السعودية خلال عقدين (١٣٩٦ـ١٤١٦هـ/ ١٩٧٦ـ١٩٩٦م) موضوع جديد وجدير بالدراسة ويستحق أن يكون عنواناً لكتاب أو رسالة أكاديمية . ونأمل أن نرى إحدى طالباتنا أو أحد طلابنا في برامج الدراسات العليا بجامعة الملك خالد فيتخذه موضوعاً لأطروحته العلمية .

(٤) عاصر الباحث كثيراً من الدكاترة العرب وغير العرب في الفروع الجامعية الأبهاوية وكانوا فعلاً قامات علمية يشار إليها بالبنان في علومهم وأخلاقهم وسلوكياتهم . حبذا أن يظهر من طلاب تلك الحقبة (١٣٩٦ـ ١٤٠٥هـ/ ١٩٧٦ـ ١٩٨٥م) من يدرسها دراسة علمية تاريخية توثيقية .

(٥) المتجول في جامعات الجنوب اليوم (الملك خالد ، والباحة ، ونجران ، وجازان) والجامعات السعودية الأخرى يجد كثيراً من أعضاء هيئاتها التدريسية من خريجي كليات أبها خلال التسعينيات من القرن الهجري الماضي ، والعقد الأول من هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) .

والدارس لخدمات التعليم العالي المجتمعية في أبها خلال العشر سنوات الأولى (١٣٩٦ــ١٤٠٥هـ/ ١٩٧٦ــ١٩٨٥م) فسوف يقف على كم هائل من الآثار الإيجابية الاجتماعية ، والاقتصادية التنموية، والعمرانية ، والتعليمية والثقافية والفكرية[١]، وكان لكل كلية إسهاماتها المثمرة، ومن الصعب تتبع دراسة تلك المشاركات في كل المجالات[٢] ، وإنما نقتصر في السطور التالية على دور كليتي الشريعة وأصول الدين ، واللغة العربية وبخاصة في بعض الميادين العامة ، وهي على النحو التالي :

١■ كنت في بداية حياتي الجامعية طالباً في كلية الشريعة واللغة العربية في أبها عام(١٣٩٦هـ/١٩٧٦م) ، وبعد فصل دراسي انتقلت إلى قسم التاريخ في كلية التربية في أبها ، وبقيت طالباً في هذه الكلية أربع سنوات، ثم امتد بنا العمر ــ والحمد لله ــ فيها معيداً ثم أستاذاً حتى عام (١٤١٩هـ/١٩٩٩م) ، بعدها انتقلت خدماتنا إلى جامعة الملك خالد حتى الآن، ومن ثم فقد عاصرت كل التطورات التعليمية العالية التي عاشتها منطقة عسير، وسوف أدون في مكان آخر انطباعاتي ومشاهداتي عن تلك الأحداث منذ عام (١٤٠٠ــ١٤٣٥هـ / ١٩٨٠ــ٢٠١٤م) [٣]، وإذا كنت خرجت من كلية الشريعة في وقت مبكر ، إلا أنني كنت على اتصال مباشر حتى الآن بطلابها وأساتذتها ، كما أن لي زملاء وأصدقاء وأساتذة من هذه الكلية وكلية اللغة العربية حتى الآن[٤].

---

(١) دراسة هذه الحقبة تاريخياً وحضارياً من الموضوعات الهامة والجديدة في بابها، نأمل أن نرى باحثاً جاداً يتولاها بالبحث والدراسة التوثيقية .

(٢) كل كلية من الكليات المذكورة آنفاً تحتاج إلى دراسات عديدة تخرج في عدد من الكتب العلمية ، والأمل معقود في أساتذة جامعة الملك خالد وبخاصة في كليات الشريعة ، والعلوم الإنسانية ، والتربية فيدرسوا تلك الحقبة التأسيسية المهمة في تاريخ التعليم العالي في المنطقة الجنوبية السعودية .

(٣) وربما يكون في سلسلة كتاب : القول المكتوب في تاريخ الجنوب . الجزء الثامن .

(٤) من أساتذتي الكرام الدكتور / عبد الله بن عبد العزيز المصلح ، والدكتور فهيد السبيعي ، ومن الزملاء : الدكتور/ سعد بن عثمان القحطاني ، والدكتور/ سعد بن سعيد الحميدي ، والدكتور/ إسماعيل البشري ، والدكتور/ ظافر بن عبد الله الشهري ، والدكتور/ هزاع الحوالي الغامدي ، والدكتور/ عبد الله عون الشهراني ، والدكتور/ عبد الله الحميِّد ، والدكتور/ علي الجماح وابن عمه محمد الجماح ، والأستاذ محمد بن سعيد القحطاني ، والأستاذ يحيى بن فائع عسيري وغيرهم كثيرون من الزملاء ثم الطلاب ، وقد حاولت جاهداً مع بعضهم وبخاصة الدكتور المصلح ، والدكاترة ابن عثمان، والبشري ، والحميدي ، والسبيعي على أن يتعاونوا معنا على رواية أو تدوين انطباعاتهم عن التعليم العالي في الجنوب ، وبخاصة كليتا الشريعة واللغة العربية في أبها وأثرها الإيجابي على المجتمع الجنوبي السعودي إلا أنهم جميعاً امتنعوا وبعضهم أورد اعتذارات واهية . ومازلت أنادي بأن الحقبة الأولى للتعليم العالي في عسير مهمة وتحتاج إلى عدد من الدراسات العلمية الأكاديمية ، وأرجو ممن يستطيع تدوين مذكراته أو مشاهداته عن تلك الفترة أن يفعل، وسوف يسدي لأهله وبني جلدته بعض المعروف .

٢ـ هاتان الكليتان (الشريعة واللغة العربية) قدمتا جهداً يذكر فيشكر في توعية الناس دينياً وثقافياً واجتماعياً، وإذا درسنا حياة الأساتذة الذين عملوا فيهما خلال العشر سنوات الأولى وجدناهم من بلدان عربية عديدة وبخاصة مصر وبلاد الشام ، فكانوا أصحاب القدح المعلى في علومهم ومعارفهم وأكاديميتهم(١)، والدارس لأحوال المجتمع العسيري بشكل خاص والجنوبي بشكل عام خلال العقد الأول من التعليم العالي فإنه سوف يجد عدداً من المخالفات الشرعية ، بل سيجد من العادات والأعراف ما يتعارض مع الشرع الحنيف، ، وقد بذل القائمون على كلية الشريعة وأصول الدين (أساتذة وطلاباً) جهوداً كبيرة في توعية الناس وتبيان الحق والباطل في كثير من القضايا(٢).

٣ـ أسهمت كليتا الشريعة واللغة إيجاباً في مجالات عديدة ، فكانت على صلات مستمرة بأحوال المجتمع العسيري وبخاصة في المراكز الصيفية ، والمناشط الدعوية ، وتخرج فيها عشرات الطلاب الذين عملوا في التعليم، والقضاء ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والدعوة والإرشاد ، والجمعيات الخيرية ، وإمامة الناس في الجمع والجماعات، والإفتاء ، وتوزيع الصدقات ، وإعطاء الدروس الدينية التوعوية في المساجد واجتماعات الناس العامة والخاصة ، كما أسهموا في النشاطات المنبرية مثل:إقامة المحاضرات العامة، والأمسيات الشعرية، والمخيمات الطلابية ، والمشاركة في الحج وغيرها(٣).

---

(١) لقد عرفت بعضهم ودرست عند عدد منهم فكانوا والله قمماً وقدوة في علومهم وأخلاقهم وسلوكياتهم . وسوف أترجم لبعضهم في بعض أعمالنا العلمية القادمة (بإذن الله تعالى) .

(٢) لقد جالست د / عبد الله المصلح مرات عديدة وسألته عن بعض الجوانب المخالفة ، فسرد لنا قصصاً عديدة عجيبة استطاع هو وزملاؤه وطلابه حينها أن يصوبوا ما خالف الشرع ، وأن يرشدوا الناس إلى كل صالح ومفيد ، ومازلت أنادي من على صفحات هذا الكتاب الشيخ ابن المصلح فيدون لنا ما عرف وعاصر وشاهد ، فقد كان اللاعب الأول بل المسؤول والموجه والمخطط لكثير من النشاطات التعليمية والدعوية والفكرية والثقافية خلال العشر سنوات الأولى من تاريخ كليتي الشريعة واللغة العربية في أبها ، وإذا لم يحفظ لنا هو وأمثاله ممن عملوا في الميدان آنذاك ، وإلا فإن كثيراً من تاريخ تلك الفترة سوف يندثر ويضيع .

(٣) عاصر الباحث كثيراً من هذه المناشط التي كان لها دور كبير في التوعية والثقافة ، ومن المؤسف أنه قد تخرج من كلية الشريعة ـــ ليس في أبها فحسب وإنما في أماكن أخرى من المملكة العربية السعودية ـــ بعض الخريجين الذين حملوا بعض الرؤى والاعتقادات والأفكار التي لا تتوافق مع الكتاب والسنة ومع منهج السلف الصالح ، وبالتالي انخرطوا في مناشط دينية وسياسية داخل المملكة وخارجها ، وكان لجهودهم آثار سلبية عقدية واجتماعية وسياسية وثقافية حتى وقتنا الحاضر. دراسة تاريخ الانحرافات العقدية عند بعض خريجي كليات الشريعة في المملكة العربية السعودية (١٣٨٠ـــ١٤٢٠هـــ / ١٩٦٠ـــ٢٠٠٠م) موضوع جديد ويستحق العديد من الدراسات الأكاديمية . كما أن تاريخ الصحوة في المملكة العربية السعودية من عام (١٣٨٥ـــ١٤١٥هـــ/١٩٦٥ـــ١٩٩٥م) موضوع أيضاً جديد ويستحق عدداً من البحوث العلمية .

وهناك ميادين ثقافية عديدة مثل: اللجان الثقافية في مدارس التعليم العام ، وكليات التعليم العالي ، والدروس الشرعية والاجتماعية في المساجد وبعض المجالس الاجتماعية ، والجرائد ، والمجلات ووسائل الإعلام الأخرى كالتلفاز (الرائي) والراديو وغيرها ،كل هذه المجالات أسهمت في تنشيط الحياة الثقافية في محافظة النماص وحاضرة أبها وما جاورها [١].

٧- رأي ووجهة نظر:

أ ■ لا ندعي الإلمام بكل ما ذكرنا في هذا المحور ، لكنها انطباعات وتجارب عاصرناها وعرفناها ، وربما يجد الباحث في جزئياتها ما يستحق القراءة أو البحث والدراسة .

ب ■ تلك المدة (١٣٨٠ــ١٤٠٠هـ/١٩٦٠ــ١٩٨٠م) فترة مخاض وحصد ثمار النضال من أجل التوحيد والبناء ، ففي الزمن السابق لثمانينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) كان الناس يعانون الفقر والجوع وفقدان الأمن ، مع أن الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود وابنه سعود من بعده بذلا جهدهما في توطيد الأمن ونشر الرخاء في عموم البلاد ، لكنهما لم يعيشا إلى زمن بحبوحة العيش التي عاشها الأبناء والأحفدة بعد تسعينيات القرن الهجري الماضي .

ج ■ عاش في العقدين المعنيين في هذه القسم رجال استطاعوا حمل راية التوحيد والتفاني والإخلاص في ترسيخ دعائم الوئام والأخوة في ربوع البلاد ، فحاربوا الجهل والفوضى، وحافظوا على سياسة التطوير ، بل عملوا جادين على بناء الإنسان والمكان ، ومن ثم فهم جديرون بالبحث في مناقبهم وتدوين سيرهم حتى يعرف جيل اليوم والغد تاريخ أولئك الرجال المخلصين الأفذاذ .

د ■ ليس أهل أبها والنماص إلا شريحة صغيرة من المجتمع السعودي الذي عرف وعاصر الكثير من الصور التاريخية والحضارية التي عاشها النماصيون والأبهاويون . ونستطيع القول إن

---

(١) يجد الدارس بأن مدن وقرى وحواضر الجنوب السعودي قد تأثرت إلى حد ما في ميادينها التعليمية والثقافية ، لكن أبها ربما تكون أحسن الموجود في هذا الجنوب حتى نهاية القرن الهجري الماضي ، ومن يجري مقارنة بين حواضر جنوبي السعودية في الماضي والحاضر ، يلحظ تنمية واسعة كبيرة في يومنا الحاضر ، وليس هناك مجال للمقارنة بين حياة الناس الحضارية في القديم وفي وقتنا الحالي .

السعوديين وبلادهم جديرون بالدراسات العلمية التوثيقية خلال النصف الثاني من القرن (١٤هـ/ ٢٠م) ، لأن تلك الفترة هي القاعدة الرئيسة لمعرفة التاريخ الحضاري الحقيقي الذي نعيشه في يومنا الحاضر.

- تعد تسعينيات القرن الهجري الماضي حقبة مفصلية في تحول المجتمع الجنوبي السعودي نحو الأفضل، والطفرة الاقتصادية والتعليم العالي في منتصف ذلك العقد (٩٥ ــ ١٣٩٦ هـ/ ٧٥ ــ ١٩٧٦م) هما أهم العوامل التي ساعدت على تطوير المجتمع جغرافياً وبشرياً ، وهذا التحول وتأثيراته الإيجابية جدير بالدراسة من قبل الأقسام الأكاديمية ومراكز البحوث العلمية في جامعاتنا السعودية .